مكتبة المحبة

رسالة إلى الوثنيين



للقديس أثناسيوس الرسولى

تعريب

القمص مرقس داود

رسالة إلى الوثنيين

للقديس أثناسيوس الرسولي

ترجمة

القمص مرقس داود

الطبعة الثانية

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة



البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الرسالة

هذه الرسالة والى تليها (تجسد الكلمة) تكونان فى الواقع فصلين من سفر واحد • فان جيروم Jerome يشير اليهما « كسفرين ضد الوثنيين » •

وكلتاهما موجهتان الى الوثنيين • على أنه يلاحظ فى الرسالة التى نحن بصددها أن النقد موجه بصفة أخص وبدرجة أقوى الى معتقدات الوثنيين وعبادتهم • وكلتاهما ترجعان الى أوائل أيام اثناسيوس • ولذا فاننا لا نجد فيهما أثرا للثورة الاريوسية (حتى فى فصل ٤٦ : ٨ من هذه الرسالة • انظر أيضا الحاشية) التى قامت سنة ٣١٩ قبل أن يبلغ الثانية والعشرين من عمره • ولا يعرف بالتحقيق وقت كتابتهما •

أما الاشارة الواردة فى فصل ٩ : ٥ بان عصر تأليه الأباطرة بقرار من مجلس الشيوخ قد زال وانتهى فانها تشير الى تجديد قسطنطين كنهاية للمرحلة • وأما وصول رسالة « تجسد الكلمة » الى أقصى درجات البلاغة لدرجة اعتبارها كقطعة أنموذجية فى علم اللاهوت المسيحى فانه يدفعنا الى اعتقاد بانها وزميلتها قد كتبتا فى وقت متأخر جدا •

لاجل كل هذه الأسباب فالمرجح انهما كتبتا فى سنة ٣١٨ أو قبيلها بقليل ، أى حينما كان عمر اثناسيوس ٢١ سنة ٠

والغرض من كتابة هذه الرسالة هو (فصل ١) لتوضيح سمو الايمان المسيحى ومعقوليته ٠ واعظم ما يوضح الايمان نتائجه العملية ٠ ولكن لكى يكون لهذه النتائج تأثيرها مهاجمة العبادة الوثنية ، الأمر الذى يستنتج من نفس سبب الشر بوجه عام ٠ أى من ابتعاد الانسان عن مثله الأعلى — « الكلمة » (ف٢ـ٥) ، وباساءة استعمال الانسان لقوة الاختيار السليم التى وهبت له سقط (ف ٦ — ٨) فى وهذه العبادة الوثنية وضلالاتها وانحط من درجته (ف ٩ — ١٥) ٠

بعد ذلك يناقش الحجج الشائعة للعبادة الوثنية وبراهينها العلمية (ف ١٦ — ٢٦) وبذلك يصل الى النقطة الرئيسية عن ادراك الله ٠ فيبرهن فى (ف ٢٧ — ٢٩) ان الله ليس هو الطبيعة ، وذلك من اعتماد اجزاء الكون المختلفة بعضها على بعض ، اذن فلا يمكن ان يكون احدها هو الله ، او كلها مجتمعة ، لأن الله لا يمكن ان يكون مكونا من أجزاء يعتمد عليها ، بل هو نفسه مصدر وجود الكل ٠ اله

كهذا تستطيع روح الانسان أن تدركه (ف ٣٠ - ٣٣) بل لابد أن تدركه اذا تطهرت من الخطية (ف ٣٤) ٠

واذا اعاقتها نقائصها عن هذا فان مظاهر العقل والنظام فى الكون (ف ٣٥ - ٤٦) تعينها على ادراك صنعة الله ، ووجود « الكلمة » والله الآب عن طريق « الكلمة » ٠ ان رجوع الانسان الخاطىء وانتشاله من وهذه السقوط لا يمكن أن يتم الا برجوعه الى الكلمة (ف ٤٧) ٠ وهذا يمهد الطريق للبحث الذى يعالجه القديس اثناسيوس فى كتابه التالى « تجسد الكلمة » ٠

هذا هو الاتجاه العام للرسالة الى الوثنيين ٠ وان أهميتها العظمى أمر لاشك فيه قط ٠ ونحن نعترف فى نفس الوقت ان بعض تفاصيلها قد لا تلذ للقارىء فى العصر الحالى ٠

فى هذه الرسالة والتى تليها يتطلع اثناسيوس الى الامام والى الخلف ٠ فالرسالة الثانية - عن التجسد - يراها علماء اللاهوت فى الوقت الحاضر جوهرية جدا ٠ ويرون فيها آراء اكثر حداثة من اى بحث لاهوتى فى جميع الأجيال السابقة الى الآن ٠

أما الرسالة الى الوثنيين فان ابحاثها عن الأمور السحيقة التى تلاشت كلية (١) ، وحججها الموجهة الى الكثير من الآراء التى تبدو غريبة عنا كل الغرابة ، ونظرتها الى بداية وتاريخ العبادة الوثنية ، ونظرياتها العلمية العتيقة (ف ٣٦ ، ٤٤ ، ٣٩) ، وحججها التى قد تبدو ضعيفة (ف ١٦ ، ٣٣ : ١) - كل هذه قد تنفر قراء العصر الحاضر لدى قراءتها لأول مرة . ولعل هذا يفسر السبب فى عدم ترجمتها قبل الآن . ولكن رغم كل هذا فان تكرار درس هذه الرسالة يزيدها قيمة فى نظر القراء . فان سموها من الناحية الادبية ، وتركيز البحث فى الحقائق المسيحية الرئيسية ، ودقة التحرى فى معالجة بعض المشاكل كالشر والخطية ، وعلاقة الله بالطبيعة ، والمقارنة الأدبية بين عقيدة المسيحية فى الاله الواحد والعقيدة الوثنية فى تعدد الآلهة ، وفوق كل هذا ان العقلية المتسعة ، وحجة المنطق - هذه تبرز الكتاب كسفر نفيس ، وكسفر جدير بان يكون متمما لقرينه الذائع الصيت .

---

(١) على ان الموقف يختلف كل الاختلاف فى البلاد الوثنية . وقد نشرت فى بلاد الهند ترجمة انجليزية لهذا السفر منذ فترة وجيزة .

وهذان السفران كما قال شاف Schaff فى كتابه Nicene Christianity صفحة ٨٢ هما أول مجهود علمى فى المسيحية عن بعض العقائد الأساسية المتعلقة بالله والعالم ، الخطية والفداء • ويمكن اعتبارهما الفاكهة الناضجة للبراهين الايجابية فى الكنيسة الارثوذكسية ، وذلك بعد كتاب « المبادىء » لأوريجانوس • لقد أكثر كتاب المسيحية الاولون من مهاجمة العبادة الوثنية وكتاباتها • ولكن ما يميز اثناسيوس عمن سبقوه - عدا اوريجانوس - هو طريقة كتابته المبتكرة • وان تضامن الفلسفة مع العبادات الوثنية الشائعة وقتئذ جعل أمام المسيحية مهمة جديدة شاقة تحو قوة التدليل • فان الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، اذ انزعجت بسبب تقدم المسيحية ، تضاعف مجهودها نحو تدعيم نظرياتها بالحجج الفلسفية •

ومما يلاحظ أخيرا أن آثار نظريات اوريجانوس واتباعه ظاهرة فى هاتين الرسالتين اللتين كتبهما فى أوائل حياته أكثر من ظهورها فى كتاباته التالية • وفى رسالة « تجسد الكلمة » (ف ٤١) نراه ينتفع بالنظرية الافلاطونية عن « الكلمة » (Logos) دون الاسهاب فى شرح الاختلاف الجوهرى بينها وبين العقيدة المسيحية • كذلك نرى آثار تعاليم أوريجانوس فى نظريته عن طبيعة الشر باعتبار أنه سلبى

محض (انظر ف ٥ بالمقارنة مع ما ورد فى تعاليم أوريجانوس Orig.C.Cels. Iv 66 فى تفسيره لجنة عدن بانها رمزية (انظر ف ٢ : ٤ ، ٣ : ٣) ·

وعلى العموم ان تفكير أثناسيوس أثناء المنازعات الأريوسية كان أبعد ما يكون عن عقلية اوريجانوس وأقرب ما يكون الى عقلية الغربيين فى طريقة البحث ·

ويمكن تبويب هذه الرسالة كما يلى :

فصل		صفحة
	١ ـ الاراء الوثنية ـ الشر طبيعى	
	٢ ـ الاراء الهرطوقية ـ وجود الهين	
٧	دحض هـذه الآراء الأخـيرة وتقرير تعليم الكنيسة	٣٠
	(٢) العبادة الوثنية	
٨ ـ ١٠	١ ـ تاريخها و اشكالها المتعددة	٣٢
١١و١٢	٢ ـ عدم ملاءمة خزعبلاتها للآداب العامة	٤٣
١٣و١٤	٣ ـ حماقة عبـادة التماثيل	٤٩
١٥	٤ ـ الهة الوثنيين ـ كما يمثلونها ـ لست الهة	٥٣
١٦ـ٢٢	(٣) بحث الحجج التى تدعم الوثنية	
١٦و١٧	١ ـ الاوصاف الخليعة التى تعزى للشعراء على أنها (أولا) وصلتنا مع نفس المستندات عن أسماء الالهة ووجودها (ثانيا) والارجح ان الشعراء اخترعوا الأوصاف الالهيـة لهذه الكائنات لا الاوصاف البشرية	٥٤

فصل | صفحة

الطبعة الأولى مايو ١٩٥٤

الطبعة الثانية يناير ١٩٨٠

الفصل الأول

مقدمة • غرض الكتاب توضيح العقيدة المسيحية سيما عقيدة الصليب ، وذلك تبرئة لها من هجمات الوثنيين • نتائج هذه العقيدة •

١ ــ أن معــرفة ديانتنا وحقيقة الأمــور لا تحتاج الى معلمين من البشر بقدر ما هى واضحة من تلقاء ذاتها ، لأنهــا فى كل يوم تؤكد نفسها بالوقائع الملموسة ، وتظهر نفســها أسطع من الشمس ، وذلك بتعاليم المسيح •

٢ ــ ومع ذلك فطالما كنت تتــوق أن تســمع عنها أيها العزيز مكاريوس (١) • تعال لنبسط بعض نقط قليلة عــن ايمان المسيح على قدر الاستطاعة • ورغم انــك تستطيع أن

---

(١) انظر الملاحظة عن هذا فى « تجسد الكلمة » الفصــل الأول ص ١٠ ، قد يكون هذا الاسم مستعملا رمــزيا • ولكن وروده فى كلتا الرسالتين يدل على ان المقصــود به شخص معين • ويغلب على الظن انه شخص مسيحى له دراية بالكتاب المقــدس •

تلبينها من الأقوال الالهيـة الا أنـك بكرمك تريد الاستماع من غيرك أيضا ٠

٣ ـ لأنه رغما عن أن الكتب المقدسة الموحى بها كافيـة لتوضيح الحق (١) ، ومع أنـه توجـد مؤلفـات أخرى لمعلمينا المغبوطين (٢) وضعت لهذه الغاية ، اذا ما عثر عليهـا المـرء حصل على بعض المعلومات عـن تفسـير الاسـفار المقدسة ، واستطاع أن يتعلم ما يريد معرفته ٠ رغم ذلك فطالما لا توجد بين أيدينا فى الوقت الحاضر مؤلفـات معلمينا لنبعث اليـك ـ كتـابة ـ ما تعلمناه منهم عن الايمان ، أعنى ايمان المسيح المخلص ، لئلا يظن أحـد أن التعـاليم التى نودى بها بيننـا رخيصة ، أو يتوهم أن الايمان بالمسيح غير معقول ٠ لأن هذا ما يتهمنا به الأمم ويهزأون بنا ، ويضحكون علينـا جـدا من أجله ، مصرين على التحدث عن هذه الحقيقة الواحدة عن صليب المسيح ٠ وهنا لا يسع المرء الا الاشفاق عليهم لانعـدام عقليتهم ٠ لانهم اذ يهزأون بصليب المسيح فانهم لا يـرون

---

(١) هذا ما يصرح به اثناسيوس دواما ٠ انظر « تجسد الكلمة » ف ٥ ٠

(٢) تجسد الكلمة ٥٦ : ٢ ٠ ولعـله يشير أيضا لمؤلفات معلمى مدرسة الاسكندرية ككتاب اوريجانوس (المبادىء) ٠

أن قوته ملأت كل العالم ، وأن به أصبحت نتائج معـرفة الله ظاهرة للجميع ٠

٤ ـ لانهم لـو كانوا قد التفتوا باخـلاص الى طبيعته الالهية أيضا لمـا كانوا قد هـزأوا بحقيقة كهذه ، بل لكانوا بالعكس قد أدركوا بدورهم أن هذا الانسان هو مخلص العالم ، وأن الصليب لم يكن كارثة ، بل كان شفاء للخليقة ٠

٥ ـ لأنه أن كان بعد الصليب قد اندثرت كل العبادة الوثنية بينما تتبدد كل مظاهر الشياطين بهذه العلامة (١) ، وأصبح المسيح وحده هو الذى يعبـد ، وبه يعرف الآب ، وأن كان المخالفون قد خزوا ، لأنه كل يوم يربح نفوس هـؤلاء المخالفين (٢) بطريقـة غير منظـورة ـ ألا يحـق للمرء أن يسألهم : ألا زلتم تـرون ان هـذا الأمـر بشرى عوضـا عن الاعتراف بان ذاك الذى صعد على الصليب هـو كلمـة الله ومخلص العالم ؟ على أنـه يبدو لى أن هـؤلاء الأشـخاص الأشرار جدا كمن يعير الشمس اذا غطتهـا السحب ، مـع

---

(١) علامة الصليب ٠ انظر (تجسد الكلمة) ٤٧ : ٢ ، ٤٨ : ٣ ٠

(٢) انظر (تجسد الكلمة) ٥٠ : ٣ ، ٥١ : ٣ الخ ٠

انه لا يزال يعجب بنورها اذ يرى ان كل الخليقة تستضىء بهـــا ٠

٦ ـ لأنه ان كان النور شريفا ، والشمس ـ باعثة النور ـ أشرف ، على هذا القياس نقـول ان كان امتــلاء العالم كله بمعرفة الله أمرا الهيا ، فبالتــالي يكون باعث هـذا الاجراء هو الله « وكلمة » الله ٠

٧ ـ اذن فنحن نتحـدث حسب طاقتنا مفندين أولا جهل غير المؤمنين ، حتى اذا ما زهق البــاطل ظهر الحق من تلقاء ذاته ، وزدت أنت أيها الصديق تأكيدا أن ما آمنت به حق ، وانك اذ عرفت المسيح لم تخدع ٠

وفضلا عن هذا فأعتقد انه من اللائق أن أوجــه الحديث اليك ـ كمحب للمسيح ـ عن المسيح ، طالما كنت واثقا انك تحسب الايمان به ومعرفته أسمى من أى شىء آخـر عــلى الاطــلاق ٠

الباب الاول

الفصل الثانى

ليس الشر عنصرا أساسيا فى طبيعة الأشياء • خلقة الانسان الأصلية ، وتكوينه فى النعمة ، وفى معرفة الله •

١ - فى البدء لم يكن الشر موجودا • بل انه ليس له وجود الآن فى الذين قد تقدسوا ، كما انه ليست له علاقة بطبيعتهم بأى حال من الأحوال • على أن الناس فيما بعد بدأوا يخترعونه ، ويحكمون صنعه لضررهم • ومن ثم اخترعوا الأصنام أيضا حاسبين غير الموجود كأن له وجود •

٢ - لأن الله جابل الكل ، وملك الكل ، الذى يعلو على كل جوهر ، ويعجز البشر عن اكتشافه ، نظرا لعظم صلاحه ، وسموه كل السمو ، خلق - مخلصنا يسوع المسيح بكلمته - الجنس البشرى على صورته ، وكون الانسان قادرا على رؤية وادراك الحقائق بواسطة هذه المشابهة لشخصه ، مانحا اياه أيضا أن يدرك ويعرف حتى أزليته ، حتى اذا ما احتفظ بطبيعته كاملة لا ينحرف عن فكرته عن الله

قط ، ولا يرتد عن شركة القديسين • بل اذ نال نعمته التى وهبها اياه ، ونال أيضا قوة الله من كلمة الآب ، استطاع أن يغتبط وتكون له شركة مع اللاهوت ، عائشا حياة الخلود كاملة ومباركة يقينا • لأنه اذ لا يعوق معرفته للاهوت شيء فانه يحتفظ ابدا ـ بطهارته ـ بصورة الآب ، الله الكلمة ، الذى خلق هو نفسه على صورته • وانه ليدهش اذ يتأمل فى العناية الالهية التى تمتد الى الكون عن طريق « الكلمة » مرتفعا عن كل الأشياء الحسية والمظاهر الجسدية ومتصلا بقوة عقله بالالهيات والأشياء التى تدرك بالعقل فى السماوات •

٣ ـ لأنه حينما لا يتصل العقل البشرى بالأجساد ، ولا يختلط به من الخارج أى شيء من شهواتها ، بل يبقى ساميا فوقها تماما ، ويظل مستقلا بنفسه كما قصد به من البدء ، فانه يتعالى الى فوق متساميا عن الحسيات وكل الأمور البشرية ، واذ يرى « الكلمة » فانه يرى فيه أيضا أبا «الكلمة» ، متلذذا بالتأمل فيه ، ومكتسبا التجديد من الانعطاف نحوه •

٤ ـ وذلك تماما كأول انسان خلق ـ الذى سمى بالعبرانية آدم ـ اذ وصف فى الكتب المقدسة بأن عقله كان متجها نحو الله بحرية لا يعيقها الخجل ، وبأنه كان يشارك

القديسين فى التأمل فى الأمور التى يدركها العقل ، والتى كان يتمتع بها فى المكان الذى كان فيه ـ الذى دعـاه القديس موسى رمزيا بالجنة • لذلك فان طهارة النفس كافية فى حد ذاتهـا للتأمل فى الله ، كما يقول الرب أيضا « طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله » •

الفصل الثالث

انحطاط الانسان من الحـالة السـالف شرحها ، بسبب انهماكه فى الماديات •

١ ـ اذن فهكذا صور الخـالق جنس البشر كمـا قلنـا ، وهكذا قصد به أن يسـتمر • ولـكن النـاس اذ اسـتخفوا بالأمور الأفضل ، ورفضـوا ادراكها ، بدأوا يبحثـون عـن الأمور الاقرب اليهم التى فضلوها على تلك •

٢ ـ على أن الأمور الأقرب اليهم هى الجسد وحواسـه • وهكذا اذ ابعـدوا عقلهم عن الأشياء المدركة بالتفـكير بدأوا يفكرون فى أنفسهم ، وبهذا ، وبحصر الفـكر فى الجسد وسائر الأمور الأخـرى الحسية ، واذ انخدعوا بما حـولهم ، سقطوا فى شهوات أنفسهم ، مفضلين ما هو لذواتهم عن التأمل فيما هو لله • واذ انغمسوا فى هذه رافضين ترك الأمور القريبـة

اليهم ، أوقعـوا نفوســهم فى حبـائل الملذات الجســدية فاضطربت (نفوسهم) وارتبكت بكل أنواع الشهوات ، بينما نسوا كلية القوة التى نالوها أصلا من الله ٠

٣ ـ على أن صحة هذا تتبين فى الانسان الذى خـلق أولا كما تخبرنا الكتب المقدسة عنه ٠ لانه هو أيضا طالما كان عقله مركزا فى الله ومداوما على التأمل فى الله كان متحولا عن التأمل فى الجسد ٠ ولكنه عندما ابتعـد عن التفـكير فى الله بمشورة الحية ، وبدأ يتأمل فى نفسه ، فانهما لم يترديا الى شهوات الجسد فحسب ، بل عرفا انهما عريانان ، واذ عـرفا هذا خجلا ٠ على انهما لم يعرفا انهما عريانان من اللبـاس بقدر ما عرفا أنهما تجردا من التأمل فى الأمور الالهية ، وحولا ذهنهما الى الضد ٠ لانهما اذ ابتعـدا عن التأمل فى الواحـد الحق أى الله ، وعن الرغبـة فيه ، فانهما منذ تلك اللحظـة انشغلا بشهوات مختلفة ، وشـهوات الحواس الجسـدانية المتعـددة ٠

٤ ـ ونتج من هذا بطبيعـة الحال أنهما اذ تولدت فيهما الرغبة لكل شىء بلا استثناء بدآ يألفـان هذه الرغبات لدرجة أنهما كانا يخشيان أن يتركاها ٠ لهذا بدأت النفس تخضع للجبن والخوف والملذات والتفكير فى الفناء ٠ لانها اذ لم تشأ

ان تترك شهواتها صارت تخشى الموت وانفصالها عن الجسد •
وأيضا اذ بدأت تشتهى ، ووجدت أنها عاجزة عن اتمام شهواتها
تعلمت ارتكاب القتل والمظالم • وهذا يدفعنا بطبيعـة الحال
لكى نوضح على قدر الاستطاعة كيف تفعل هذا •

الفصل الرابع

انحـدار النفس تدريجيا من الحـق الى الباطل بسبب اساءة استعمالها حقها نحو حرية الاختيار •

١ ـ واذ ابتعـدت عن التأمل فى الأمـور العقلية ، واستخدمت لأقصى حـد كل نواحى نشـاط الجسـد ، وتلذذت بالتأمل فى الجسد ، ورأت أن الملذات جيدة لها ، فانها ضلت وأساءت استعمال اسم الخير ، وظنت أن الملذات هى خلاصـة الخير ، كما لو أصيب انسـان بآفة فى عقـله وطلب سـيفا ليشهره ضد كل من لقيـه ، وظن أن هذا هو العقل السليم •

٢ ـ ولكنها اذ تردت فى محبـة الملذات بدأت تخرجهـا فى أشكال مختلفة • لأنها أذهى بالطبيعـة متحركة فانها لا تفقد حركتها حتى ولو ابتعـدت عن الخير • اذن فهى تتحرك لا نحو الفضيلة فيما بعـد ، ولا لكى ترى الله ، بل تستخدم

قواها استخداما غريبا ، مفكرة فيما لا وجود له ، ومسيئه استخدام تلك القوى كوسيلة للملذات التى اخترعتها ، طالما كان لها السلطان على ذاتها ٠

٣ - لانه كما كان فى استطاعتها من الناحية الواحدة أن تنعطف نحو الخير ، كذلك كان فى استطاعتها من الناحية الأخرى أن ترفضه ٠ ولكنها برفضها الخير انشغل تفكيرها بطبيعة الحال فيما هو ضده ، لانها لم تستطع مطلقا أن تمتنع عن الحركة ، فهى كما قلت متحركة بالطبيعة ٠ واذ كانت تعرف سلطانها على ذاتها فانها كانت ترى بانها تستطيع استخدام أعضاء جسدها فى أحد الاتجاهين ، اما الى ناحية الموجود ، أو الى ناحية العدم ٠

٤ - على أن الخير هو الموجود ، والشر هو العدم ٠ اذن فاننى أقصد بالموجود ما هو خير ، لأن له مماثلة فى الله الموجود ٠ واقصد بالعدم ما هو شر لأنه ينحصر فى الأوهام الباطلة فى أفكار البشر ٠ لأنه مع أن للجسد عينين لرؤية الخليقة ، ولأدراك الخالق بتركيبها المتوافق كل الموافقة ، وأذنين للاصغاء الى الأقوال الالهية ونواميس الله ، ويدين لاتمام الاعمال الضرورية ، ولرفعهما الى الله فى الصلاة ، الا أن النفس وقد ابتعدت عن التأمل فى الخير ، والتحرك فى دائرته ، صارت تهيم شاردة وتتحرك نحو ما هو ضده ٠

٥ ــ وهى ــ كما قدمت ــ اذ ارتضت ، أو اساءت استعمال قواها ، أدركت أن فى استطاعتها تحريك أعضاء الجسد أيضا فى اتجاه مضاء • ولذلك فعوضا عن النظر الى الخليقة صارت تحول العين الى الشهوات ، مظهرة أن لها هذا السلطان أيضا ، ومتوهمة انها بمجرد التحرك تحتفظ بكرامتها ولا ترتكب أية خطية اذا تصرفت كما تريد وتشتهى ، غير عالمة انها لم تخلق لمجرد التحرك بل للتحرك فى الاتجاه المستقيم • وهذا هو الذى من أجله يؤكد لنا أحد الأقوال الرسولية ان « كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق » (١) •

الفصل الخامس

اذن فالشر يتضمن جوهريا فى اختيار الأمور السفلى وتفضيلها على الأمور السامية •

١ ــ على أن وقاحة البشر اذ لم تبال بما هو لائق ومناسب ، بل بما هو فى امكانها ، بدأت تدفعهم الى العكس ، وبالتالى اذ حركت أيديهم الى العكس جعلتها ترتكب القتل ، وقادت أسماعهم الى العصيان ، وعدم الطاعة ، وأعضاءهم

---

(١) ١ كو ١٠ : ٢٣ •

الأخرى الى الزنى ، بدلا من انتاج النسل الطبيعى ، واللسان الى النميمة والشتيمة والحلف كذبا بدلا من الكلام اللائق ، والايدى أيضا الى السرقة وضرب الاخوة ، وحاسة الشم الى الروائح الشهوانية المتنوعة ، والاقـدام للاسراع فى سـفك الدم ، والبطن الى السكر والنهم (١) ٠

٢ ـ وكل هذه رذائل وخطية للنفس ٠ كما انه لا مبرر لها على الاطلاق ، سوى رفض ما هو أفضل ٠ لانه كما أن قائد العربة اذا ما ركب عربته فى ساحة السباق لا يبالى بالهدف الذى أمامه الذى يجب أن يقود العـربة نحـوه ، بل يتجـاهله ويقود الحصان حسبما يستطيع ، أو بتعبير آخر حسـبما يريد ، وكثيرا ما يدوس بعربته من يلتقى بهم ، وكثيرا مـا يسقط فى حفر شديدة الانحدار ، ويندفع بسرعة السباق التى آل على نفسه السير بها ، متوهما أنه بهذا لم يخطىء الهدف ، لأنـه لا يراعى الا الركض ، ولا يرى أنه قد تجـاوز الهـدف جدا ٠ هكذا النفس أيضا ، فانها اذ تحولت عن الاتجاه نحو الله ، ودفعت أعضاء الجسد وأبعدتها عما هو لائق ، أو بالحرى طوحت بنفسها معها باعمالها ، فانها تخطىء وتؤذى نفسها ، دون أن ترى أنها ضلت الطريق ، وانحرفت عن هدف الحـق ،

---

(١) رو ٣ : ١٠ الخ ٠

الذى كان يتطلع اليه المغبوط بولس لابس المسيح عندما قال « أسعى نحو الغرض ، لاجل جعالة دعوة المسيح يسوع العليا » (١) • وهكذا اذ جعل هذا القديس الخير هدفه لم يرتكب الشر قط •

الفصل السادس

آراء باطلة عن طبيعة الشر ، أى أن الشر متغلغل فى طبيعة الأشياء ، وله وجود جوهرى • (١) فالوثنيون يقولون ان الشر مستقر فى المادة • دحض هذه الافتراءات (٢) والمعلمون الهرطقون يعلمون بعبود الهين • دحض هذا من الكتاب المقدس •

١ ــ واذ انحرف بعض اليونانيين عن الطريق المستقيم ، ولم يعرفوا المسيح ، نسبوا للشر وجودا جوهريا مستقلا • وبهذا ارتكبوا خطأ مزدوجا • بانكارهم أن الخالق خلق كل الأشياء ، وذلك ان كان للشر كيان مستقل من تلقاء ذاته • او انهم ان كانوا يقصدون أنه خالق كل الأشياء فانهم بالطبيعة يعترفون أنه خالق الشر أيضا • لأن الشر ــ حسب ادعائهم ــ كائن ضمن الأشياء الموجودة •

---

(١) فى ٣ : ١٤ •

٢ ــ على أن الأمر واضـح كل الوضوح أن هذا ملىء بالمتناقضات ، عـلاوة على استحالته • لأن الشر لا يخرج من الخير ، كما أنه غير موجود فى الخير ، ولا هو نتيجة لـه • والا ففى هذه الحالة لا يمكن أن يكون الخير خيرا طـالما كان مختلطا بطبيعـة الشر ، أو نتيجة له •

٣ ــ ولكن المتحزبين الذين انحـرفوا عـن تعـاليم الكنيسة ، « وانكسرت بهم السفينة من جهـة الايمان » (١) يتوهمون خطأهم أيضا أن للشر كيـانا جوهريا • عـلى أنهم يتوهمون استبداديا وجـود اله آخر سوى الاله الحقيقى أبـا ربنا يسوع المسيح . وأنه هو الباعث ــ غير المخلوق ــ للشر ، ورأس كل الشرور ، وهو أيضا بارىء الخليقـة • ولكن هـؤلاء الاشخاص يمكن دحضهم بسهولة ، لا من الاسفار الألهيـة فحسب ، بل من الذهن البشرى نفسه ، الذى هو مصدر هـذه الأوهام الجنونية •

٤ ــ ولنبدأ الآن بالقول ان ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقول فى أناجيله مؤيدا كلمات موسى « الرب الأله واحـد » ،

---

(١) ١ تى ١ : ١٩ •

« أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض » (١) فان كان الله واحدا ، وفي نفس الوقت هو رب السماء والأرض ، فكيف يمكن أن يكون هنالك اله آخر سواه ؟ أو أى مجال يبقى للاله الذى يتوهمونه ان كان الاله الحقيقى الواحد يملأ كل الأشياء فى دائرة السماء والأرض ؟ أو كيف يمكن أن يكون هنالك خالق آخر ان كان اله وأب المسيح هو نفسه رب كتصريح المخلص ؟

٥ ـ الا اذا نادوا بالمساواة وقالوا ان للاله الشرير مقدرة على اخراج الخير من اله الخير · ولكن ان قالوا هذا فانظر الى أية هاوية من الالحاد يتردون · لأنه اذا تساوت القوى فان الاسمى والافضل لا يمكن ادراكه · ولأنه اذا وجد الواحد رغم ارادة الآخر ، فلاهما متساويان فى القوة ، وكلاهما متساويان فى الضعف · متساويان لأن نفس وجود الواحد انهزام لارادة الآخر · وضعيفان لأن ما يحدث هو ضد ارادتهما · ولأنه ان كان اله الخير موجودا رغم ارادة اله الشر ، فان اله الشر موجود بالتساوى رغم ارادة اله الخير ·

---

(١) مر ١٢ : ٢٩ ، مت ١١ : ٢٥ ·

الفصل السابع

دحض التعليم بوجود الهين من المنطق • استحالة وجود الهين • حقيقة الشر هي ما تعلمه الكنيسة : انه ينشأ ويستقر في الاختيار المعكوس للنفس المظلمة •

١ ـ وهم بنوع أخص يعرضون أنفسهم للأجابة التالية • ان كانت الأشياء المنظورة هي من صنع اله الشر فما هو عمل اله الخير ؟ لأنه لا شيء ينظر سوى عمل الصانع • أو أي دليل لوجود اله الخير على الاطلاق لو لم تكن هنالك أعمال من أعماله حتى يمكن ادراكه بها ؟ لأن الصانع يعرف باعماله •

٢ ـ أو كيف يتسنى وجود مبدأين متناقضين ؟ أو ما الذي يفصل بينهما فيكون الواحد بعيدا عن الآخر ؟ لأنه يستحيل وجودهما معا اذ أن كلا منهما يحاول ابادة الآخر • كذلك لا يمكن للواحد أن يوجد في الآخر لأن طبيعتيهما غير قابلتين للاندماج ، وغير متماثلتين • بناء على هذا فان الذي يفصلهما لابد أن يكون من طبيعة ثالثة ، أي اله • ولكن من أي طبيعة يمكن أن يكون هذا الثالث ؟ من طبيعة الخير او الشر ؟ من المستحيل أن نقرر رأيا ، لأنه لا يمكن أن يكون من طبيعة الاثنين •

٣ ـ اذن وقد اتضح أن غرورهم هذا فاسد وجب أن تسطع لامعة حقيقة تعاليم الكنيسة التى تلخص فى أن الشر لم يكن من البدء مع الله أو فى الله ، كما انه ليس له وجود جوهرى بل ان البشر لقصورهم عن رؤية الخير بدأوا يخترعون ويتوهمون لأنفسهم ما لم يكن ، منساقين وراء شهواتهم ٠

٤ ـ لانه كما أنه اذا أغلق انسان عينيه ، والشمس ساطعة وكل الأرض مستضيئة بنورها ، وتوهم الظلمة وليس لها وجود ، ثم سار هائما كأنه فى ظلام ، وتعثر مرارا ، وسقط فى حفر شديدة الانحدار ، متوهما أن الدنيا مظلمة وليست منيرة ، لأنه لا يرى على الاطلاق رغم توهمه بأنه يرى ـ هكذا أيضا نفس الانسان اذ تغلق عينيها اللتين بهما تستطيع رؤية الله فكرت فى الشر لذاتها ، وأصبحت وهى تتحرك فى الشر لا تعرف أنها لا تفعل شيئا رغم توهما بأنها تفعل شيئا ٠ لأنها تفكر فى العدم ، كما انها لم تلبث بعد فى طبيعتها الاصلية ٠ ولكن الحالة التى هى فيها هى بطبيعة الحال نتيجة اختلال توازنها ٠

٥ ـ لانها خلقت لكى ترى الله ، ولكى تستنير به ٠ ولكنها عوضا عن أن تطلب الله طلبت من تلقاء نفسها الأمور الفاسدة ، وبحثت عن الظلام كما يقول الروح كتابة فى مكان

آخر « ان الله صنع الانسان مستقيما ، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » (١) اذن فقد ثبت أن البشر من البدء اخترعوا أو دبروا وتوهموا الشر لأنفسهم • ولكن قد حان الوقت الآن لنقول كيف وصلوا الى جنون عبادة الأوثان ، لكى تدرك أن اختراع الاوثان ناشيء كلية لا عن الخير بل عن الشر • على أن ما ينشأ من الشر لا يمكن بأى حال أن يسمى خيرا ، لأنه شر بجملته •

الفصل الثامن

وأصل العبادة الوثنية مماثل • واذ اصبحت النفس مادية بتناسيها الله ، وانجرفت فى تيار الأمور الأرضية حولتها الى آلهة • فهوى الجنس البشرى الى هاوية من الضلالات والخرافات بدرجة تدعو الى اليأس والاسى •

١ ــ واذ لم تقنع النفس البشرية باختراع الشر بدأت بالتدريج تجترىء على ما هو أسوأ وأشر • لأنها اذ اختبرت شتى اللذات ، وتناست الالهيات ، وسرت بالاكثر بملذات الجسد التى وضعتها نصب عينيها ، ولم تحفل بشىء سوى

---

(١) جا ٧ : ٢٩ •

الأشياء الحاضرة والتأمل فيها ، لم تعـد تفكر أنه يوجد شيء غير المنظـور ، أو أنـــه يوجد خير ســوى الاشياء الوقتية والجسدية ، لذلك نانها ، وقد تحولت وتناست انهـا كانت على صورة الله الصالح ، لم تعـد بالقوة التى فيها تــرى الله الكلمة الذى خلقت على مثاله • ولكنها اذ ابتعـدت عن نفسها صارت تتوهم وتتخيل ما ليس له وجــود •

٢ ـ لأنـها ـ بمضاعفات الشهوات الجسدية ـ أخفت المرآة التى فيها ، والتى بها وحـدها تستطيع رؤية صـــورة الآب ، لذلك لم تعـد ترى ما يجب أن تراه النفس ، بل حملت فى كل تيار ، وأصبحت لا ترى سوى الاشياء التى تقع تحت الحس • وبالتالى تثقلت بكل الاهواء الجسدية • واذ ارتبكت وسط تأثيرات هذه الاشــــياء توهمت أن الله الذى نسـيه تنكيرها يوجـد فى الأشياء الجسدية المنظورة ، معطية الأشياء المنظورة اسم الله ، وممجدة فقط تلك الاشياء التى تهواها ، والتى تبهج أنظارها •

٣ ـ بناء على ذلك فالشر هو السبب الذى يجر العبادة الوثنية فى أذيـاله • لأن البشر اذ تعـلموا أن يخترعوا الشر الذى ليس له أصل فى حد ذاته ، فانهم بنفس الطريقة تخيلوا لانفسهم آلهة من الكائنات التى ليس لها وجود حقيقى • اذن

فكما أنه اذا غطس الانسان فى الاعماق ، ولم يعد يرى النور ، ولا ما يظهر بالنور ، لأن عينيه تحولتا الى أسفل ، والمياه كلها فوقه ، واذ أصبح لا يرى الا الاشياء التى فى الاعماق ، فانه يتوهم أنه لا يوجد شىء سواها ، بل ان تلك التى يراها هى وحدها الحقيقية ، هكذا أيضا اذ فقد أناس العصر السابق عقلهم ، وغرقوا فى الشهوات وأوهام الأشياء الجسدية ، ونسوا معرفة ومجد الله لبلادة عقولهم ، أو بالحرى لانعدام عقولهم ، فانهم جعلوا لانفسهم آلهة من الاشياء المنظورة ممجدين المخلوق دون الخالق (١) اله ، ومؤلهين المصنوعات دون السيد علتها وبارئها •

٤ ـ ولكن كما رأينا فى التشبيه السابق عمن يغطسون فى الاعماق أنهم كلما ازدادوا تعمقا وصلوا الى أمكنة أظلم وأعمق ، هكذا الحال أيضا مع البشرية ، لأنهم لم يلبثوا فى العبادة الوثنية فى حالة بسيطة ، ولم يستمروا فيما بدأوا به ، لكنهم كلما طال بهم الزمن فى حالتهم الأولى ازدادوا توغلا فى اختراع خرافات جديدة • واذ لم يكتفوا بالشرور الأولى ازدادوا توغلا فى غيرها ، وازدادوا تقدما فى الخزى الذى لا مزيد له ، وتنافسوا فى أعمال الفجور • وعن هذا تشهد

---

(١) رو ١ : ٢٥ •

الكتب الالهيــة اذ تقــول « اذا جاء الشرير الى عمق الشرور فانه يزدرى » (١) ٠

الفصل التاسع

امتداد العبادة الوثنية باشكال مختلفة : عبادة الاجرام السماوية ، والعنــاصر ، والاشــياء الطبيعية ، والمخلوقات الخرافية ، والشهوات المجسمة ، والبشر الاحياء والاموات ٠ حالة انتينوس والاباطرة المؤلهين ٠

١ ـ لأن ذهن البشر قفــز مبتعــدا عن الله ، واذ ازدادوا تسفلا فى أفكارهم وأوهامهم أعطوا المجـد اللائق بالله أولا للسماء والشمس والقمــر والنجـوم ، متوهمين أنهــا ليست آلهة فحسب ، بل هى أيضا علة الالهة التى هى دونها ، واذ ازدادوا تسفلا فى أوهامهم المظلمة أطلقوا اسم الالهــة على الاثير العلوى والهواء وما فى الهواء ٠ واذ ازدادوا توغــلا فى الشر الهوا العناصر والمبادىء التى تتكون منها الاجسام ، الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة ٠

---

(١) ام ١٨ : ٣ (الترجمة السبعينية) ٠

٢ ـ ولكن كما أن الذين سـقطوا بالكلية يزحفون فى الوحـل كالقواقع الارضية ، هكذا اذ ازداد أشر البشر تسفلا وابتعـادا عن فكرة الله أقاموا البشر كآلهة ، وكذا أشـكال البشر ، بعضهم لا يزالون أحياء ، والبعض الآخر حتى بعـد موتهم • والاكثر من ذلك انهم اذ فكروا • فيما هو أشر حولوا أخيرا اسم الله السامى الالهى للاحجار والاخشاب وزحافات الأرض والماء والبهائم البرية غير العاقلة ، مقدمين لها كل كرامة الهية ، ومتحولين عن الاله الحقيقى الواحد ابى المسيح •

٣ ـ ولكن ليت حماقة هؤلاء البشر الاغبياء وقفت عنـد هذا الحـد ، ولم يتوغـلوا فى اضطراباتهم الوقحة • لانهم تسفلوا فى أفكارهم الى هذا الحد من ظلام العقـل حتى انهم اخترعوا لانفسهم وأقاموا آلهة من الاشياء التى لا وجـود لها على الاطـلاق ، ولا مكان بين الخليقة • لانهم اذ مزجوا بين الخليقة العـاقلة وغير العاقلة ، وجمعوا بين الأشياء غـير المتشابهة بطبيعتها ، عبدوا النتائج (١) كآلهة ، مثل آلهـة المصريين التى لها رأس كلب أو رأس حية أو رأس حمار ، وعمون اله الليبيين الذى له رأس كبش بينما فصل غيرهم أعضاء جسم الانسان ، الرأس والكتف واليد والقدم ، وأقاموا

---

(١) أى هذا المزيج •

من كل عضو الها ، وألهوها كأن ديانتهم لم ترتض بأن يبقى الجسم كله سليما •

٤ — أما غيرهم فقد استغرق فى الفساد لأقصى حد فألهوا الباعث على اختراع هذه الأشياء واختراع شرورهم ، أى الملذات والشهوات ، وعبدوها ، مثل عيروس (١) ، وافروديت (٢) فى بافوس • بينما تجاسر بعضهم — كأنهم ينافسونهم فى الرذيلة — ليقيموا آلهة من حكامهم بل من أبنائهم ، اما من باب الاحترام لروسائهم ، أو خوفا من بطشهم ، مثل زفس (٣) الكريتى الذى له الشهرة العظيمة بينهم ، وهرمس (٤) بين أهل اركادياس وديونيسيوس بين الهنود ، وايزيس واوزيريس وهورس بين المصريين ، وفى عصرنا انثينوس محبوب هادريان امبراطور الرومانيين ،

---

(١) Eros اله الحب عند الاغريق •

(٢) Aphrodite الآلهة العشق والجمال عند الاغريق •

(٣) Zeus رب الأرباب عند قدماء الاغريق •

(٤) Hermes رسول الآهة وابن الاله الأكبر • اله العلم والتجارة والسفر واللصوص •

الذى رغم أن الناس يعرفون أنـه مجـرد انسان ، وليس انسانا محترما ، بل بالعكس ملىء بالرذائل والدعـارة ، الا انهم يعبـدونه خـوفا ممن أوصى بعبـادته • لأن هـادريان اذ أتى للاقامة فى أرض مصر عندما مات انتينوس خادم لذاته وشهواته ، أمر بعبادته ، لأنه افتتن بحب الشاب فعلا حتى بعد موته • ولكنه رغما عن ذلك فضح نفسـه وقدم برهانا ضد كل عبـادة وثنية لأنـه عـرف بين الناس أن هـذه العبادة لم تنشأ الا بسبب الشهوة التى تملكت على مبتدعيها ، كمـا شـهدت بذلك حكمة الله من قبـل اذ تقول « ان اختـراع الأصنام هو أصل الفسق (١) » •

٥ ـ ولا تعجب ، بل لا تظن ، أن ما نقوله صعب التصديق، اذ ما قررنا انه الى عهد قريب ـ ولو لم تستمر هذه الحالة للان ـ كان مجلس الشيوخ فى الامبراطورية الرومانية يصوت للاباطرة الذين حكموهم من البداية ، لكلهم أو لمن يشاءون ، ويقررون ، ليعطوهم مكانا بين الالهة ، ويأمرون بعبادتهم (٢)

---

(١) حكمة ١٤ : ١٢ •

(٢) كان قسطنطين آخر امبراطور صدر الحكم رسـميا باعتباره الهـا ، بـل حتى ثيودوسيوس رفعـه كلوديان الى السماء •

لان الذين كانوا يبغضونهم كانوا يعاملونهم كاعداء ويعتبرونهم بشرا ، معترفين بطبيعتهم الحقيقية · اما الذين كانوا يحبونهم فكانوا يأمرون بعبادتهم بسبب فضائلهم ، كأن لهم السلطان أن يقيموا آلهة ، رغم انهم هم انفسهم بشر ، ولا يمكن أن يدعــوا بانهم أكثر من خليقة فانية ·

٦ ـ مع انهم ، ان جاز لهم أن يقيموا آلهة ، لوجب أن يكونوا هم انفسهم آلهة ، لأن الصانع يجب ان يكون أفضل من المصنوعات ، والحــاكم يتحتم بالضرورة ان يكون لــه سلطان على المحكوم · وللعطى ، او من له ، الذى يهب فضــلا واحسانا كالملك الذى ، يهب مما له ، لا شك أعظم وأســمى مركزا من الآخذ · فاذا ما قرروا اعتبار اى شخص شاءوا الها وجب ان يكونوا هم انفسهم أولا آلهــة · ولكن الغريب انهم بموتهم هم انفسهم كبشر يظهرون بطلان آرائهم نحــو أولئك الذين يقررون انهم آلهة ·

الفصل العاشر

مصدر بشرى مماثل لآلهـــة اليونان بامر ثيسيوس • العملية التى بها تصبح الخليقة الفانية آلهة •

١ ـ على أن هذه العـادة ليست حديثة ، كما أنهـا لم تبدأ من مجلس الشيوخ للامبراطورية الرومانية ، بل بالعكس انها سبق أن وجدت منذ القديم ، ومارسها البشر ـ لاختراع الاصنام ـ من قبـل لأن الآلهة التى اشتهرت منذ القـديم بين اليونـانيين مثـــل زفس وبوسـيدون وأبـولو وهيفاستوس وهرمس ، ومن اناثهم هيرا وديمتر واثينا وارطاميس ، هذه كلها اتخـذت اسم الآلهة بأمر من ثيسيوس (١) الذى يحدثنـا عنـه تاريخ الاغريق وهكذا نرى أن النـاس الذين يصـدرون أوامر كهذه يموتون كبشر ، ويحـزن عليهم ، بينما نرى أن الذين صدرت الأوامر فى مصلحتهم يعبدون كآلهة • فيـاله من تناقض عظيم وجنون بين لانهم مع علمهم بمن أصـــدر الأوامر يؤدون اكراما أعظم لمن صدرت من أجلهم •

---

(١) Theseus

٢ ـ وليت جنون عبادتهم الوثنية وقف عند حد الذكور ، ولم ينحدروا بلقب الآلهة الى الاناث • لأنهم يعبدون حتى النساء اللاتى من الخطر تدخلهن فى الشئون العامة ، ويؤدون لهن الاكرام الواجب لله ، كاولئك اللاتى صدر بهن أمر من ثيسيوس كما تقدم ، واللاتى اشتهرن بين المصريين من ايزيس والفتاة والأصغر منها (١) ، وبين غيرهم افروديت • أما أسماء غيرهن فلست أظن أنه من اللائق حتى ذكرهن ، لأنها مليئة بكل أنواع القبائح •

٣ ـ لأن الكثيرين ـ ليس فى القديم فقط بل فى أيامنا ايضا ـ اذ فقدوا اعزاءهم اخوتهم وأقرباءهم وزوجاتهم ، ونساء كثيرات ممن فقدن أزواجهن ، هؤلاء كلهم الذين أثبتت الطبيعة انهم بشر فانون اقاموا ممثلين لهم (٢) واخترعوا تقدمات ، وقدسوهم • أما الأجيال اللاحقة فانها اذ افتتنت بمهارة الصانع عبدوهم كآلهة ، وهكذا أصبحوا متناقضين مع الطبيعة • لأنه بينما حزن آباؤهم من اجلهم دون اعتبارهم آلهة (لأنهم لو أدركوا انهم آلهة لما حزنوا عليهم كأنهم قد هلكوا •

---

(١) ويحتمل النص الأصلى هذه للترجمة أيضا (ايزيس الفتاة الاصغر) •

(٢) اى للذين فقدوهم •

لأن السبب فى أقـامة تماثيـل لهم ليس لأنهم لم يعتبروهم آلهة فحسب بل أنهم لم يعتقـدوا فى أن لهم وجودا عـلى الاطـلاق • ولكى يتعـزوا عن عدم وجـودهم بمنظرهم ف التماثيل) فان الشعب الاحمق يصلى اليهم كآلهة ، ويؤدون لهم الاكرام الواجب للاله الحقيقى •

٤ ـ فمثـلا فى مصر لا تزال حتى اليوم مرثاة المـوتى توجه لاوزيريس وهورس وتيفو وغيرهم • والقدور (١) فى دودونا ، والكهنة فى كريت ، تثبت أن رفس ليس الها بـل انسانا ، وانسانا ولد من أب آكل لحوم البشر • والغريب أنه حتى أفلاطون الحكيم الذى يعجب به الاغريق ، نراه ـ رغـم افتخـاره بمعرفته لله ـ ينزل مع سقراط الى بيرية لعبـادة أرطاميس التى هى بدعة من اختراع الانسان •

---

(١) جمع قدر أى مرجل أو دست •

الفصل الحادى عشر

اعمال الآلهة الوثنيـة ، سيما اعمال زفس •

١ ـ على أن هذه وأمثالها من اختراعات العبادة الوثنية الجنونية سبق أن حدثنا عنها الكتـاب المقدس منذ زمـن طويل حـين قـال (لأن اختراع الاصـنام هو أصل الفسق • ووجدانها (١) فساد الحياة • وهى لم تكن فى البـدء ولا تدوم الى الأبد • لأنها انما دخـلت العـالم بحب النـاس للمجد الفارغ • ولذلك عزم على الغـائها عن قريب • وذلك أن والدا قد فجع بشكل معجل فصـنع تمثالا لابنـه الـذى خطف سريعا ، وجعـل يعبد ذلك الانسان الميت بمنزلة اله ، ورسم للذين تحت يده شعائر وذبائح • ثم على ممر الزمـان تأصلت تلك العـادة الكفرية فحفظت كشريعـة ، وباوأمر المللك عبدت المنحوتات • والذين لم يسـتطع النـاس اكرامهم بمحضرهم لبعد مقامهم صـوروا هيئاتهم الغائبة ، وجعلوا صـورة الملك المكرم نصب العيون حرصا عـلى تملقه فى الغيبـة ، كأنه حاضر • ثم ان حب الصناع للمباهاة كان داعية للجاهلين الى المبالغة فى هذه العبـادة • فانهم رغبـة فى ارضاء الآمر قد

---

(١) أى ابتداعها •

افرغوا وسعهم فى الصناعة لاخراج الصورة على غاية الكمال فاستميل الجمهور ببهجة ذلك المصنوع حتى ان الذى كانوا قبل قليل يكرمونه كانسان عدوه الها • وبهذا كان اقتناص الخلق (١) • فان رزيئة بعض الناس أو اقتسار الملوك استعبدهم (٢) حتى جعلوا على الحجر والخشب الاسم الذى لا يشرك فيه أحد (٣))•

٢ ـ واذ كانت بداءة وتدبير اختراع الاصنام بهذا الشكل كما يشهد الكتاب المقدس فقد حان الوقت الآن لنظهر لك بطلانها بأدلة مستقاة من آراء نفس هؤلاء الاشخاص عن الاصنام أكثر مما هى مستقاة من الخارج • وللبدء بأسفل نقطة ـ اذا ما تأمل المرء فى أعمال أولئك الذين يسمونهم آلهة ـ فانه لا يجد أنهم ليسوا آلهة فحسب ، بل انهم كانوا بشرا واقبح البشر • فيالها من شناعة اذ ترى آثار أهواء زفس السافلة ، واعماله القبيحة فى الشعراء • يالها من

---

(١) أى خداع العالم •

(٢) ترجمة النص الانجليزى « فان الناس اذ خدموا الرزايا أو المظالم جعلوا على الحجر الخ » •

(٣) حكمة ١٤ : ١٢ ـ ٢١ •

شناعة اذ تسمع عنه من الناحية الواحدة حاملا غنيميد (١) مرتكبا الفسق اختلاسا ، ومن الناحية الأخرى ، أنه فى هلع وذعر لئلا تسقط أسوار أهل طروادة ، رغم ارادته • يالهـا من شناعة اذ تراه حزينا مكتئبا من أجل موت ابنه سربيدون متمنيا اغاثته وهو عاجز عن الاغاثة ، وعندما تدبر ضده المؤامرات بواسطة الآلهة الأخرى أى أثينا وهيرا وبوسيدون ، معضدا من امرأة ـ ثيتيس ـ وايجيون ذى المائة يد (٢) ومنغلبا من الشهوات فيصبح عبدا للنساء ، ولأجلهن يرتكب المخاطر متنكرا فى شكل البهائم والزحافات والطيور • وأيضا يالها من شناعة حينما تراه يختبىء بمناسبة مؤامرة أبيه ضده ، أو موثقا كرونوس ، أو مشوها أباه • أيليق أن يسمى الهـا ذاك الذى ارتكب أعمالا كهذه ، ويتهم بأمور لا تجيزها القوانين الرومانية العادية لمجرد البشر ؟

---

(١) Ganymede ساقى الآلهة عند الاغريق •

(٢) Aegaean تسمية أخرى برايروس Briareos وهو عملاق له مائة يد وخمسون رأسا وهو ابن اورانوس Uranus وجايا Gaea (أى السماء والأرض) •

الفصل الثانى عشر

أعمال مخزية أخرى تنسب لآلهة الوثنيين • وكلها تبرهن على أنهم بشر عاشوا فى الأزمنة السابقة ، وليسوا حتى بشرا صالحين •

١ ـ لانه ـ مع ذكر القليل من الامثلة الكثيرة منعا من اطالة الكلام ـ من ذا الذى رأى سلوكه الفاسد المعيب نحو سميلى وليديا والكمين وأرطاميس وليتو ومايا وأوروبا ودانى وأنتيوب (١) ، أو رأى ما تجاسر أن يأخذه بيده من جهة أخته بسماحة أن تكون نفس المرأة أختا وزوجة له ، ولا يحتقره ويحكم بأنه مستحق الموت ؟ لأنه لم يرتكب الزنى فقط بل انه اله ، ورفع الى السماء أولئك الذين ولدوا من فسقه هو شخصيا ، مدبرا التأليه كستار لفضائحه مثل ديونيسوس وهرقل وديوسقوروس وبيريسيوس وسوتيرا (٢) •

---

(١) Semele, Leda, Alcmene, Artemis, Leto, Maia, Europe, Antiope

(٢) Dionysus, Heracles, the Dioscuri, Hermes Perseus, Soteira

٢ - ومن ذا الذى يرى تلك الآلهة المزعومة فى نزاع مستمر ، بينها وبين أنفسها فى طروادة بسبب الاغريق وأهل طروادة دون أن يعترف بضعفها ، لأنها بسبب الغيرة المتبادلة بينها دفعت حتى الخلائق البشرية للاشتباك فى النزاع ؟ ومن ذا الذى يرى أزيس وأفروديت (١) جرحهما ديوميد (٢) أوهيرا وايدونيسيوس (٣) من تحت الأرض ، ومن يسمونه الها جرحه هرقل ، وديونيسوس جرحه برسيوس (٤) ، وأثينا جرحها اركاس (٥) ، وهيفاستوس (٦) طرح به وصار اعرج دون أن يعترف بطبيعتهم الحقيقية ، وبينما يرفض أن يدعوهم آلهة يتأكد (حينما يسمع انهم قابلون للفناء وسريعو التأثر) انهم ليسوا الا بشرا ، بل بشرا ضعفاء ، ويعجب بأولئك الذين أحدثوا الجراح دون أن يعجب بالمجروحين ؟

٣ - أو من ذا الذى يرى زنى اريس مع افروديت ، وهيفاستوس يدبر فخا لكليهما ، والآلهة المزعومة الأخرى يدعوها هيفاستوس لتشهد الزنى فتحضر وتطلع على رذائلهم ،

---

(١) Aces Aqhrodites

(٢) Diomed

(٣) Flera. Aidoneus

(٤) Persens

(٥) Arcas

(٦) Hephaestus

دون أن يضحك ويدرك أخلاقهم السافلة ؟ أو من ذا الـذى لا يضحك اذ يشهد حمـاقة سكر وسـوء اخـلاق هرقل نحـو اومفالى (١) ؟ لأن تصرفاتهما الشهوانية ، وهيامهما الخـارج عن حدود العقل ، وتماثيلهما الالهية من ذهب وفضة وبرونز وحـديد وحجر وخشب ليست فى حاجة أن نفضحها بالحجة طالما كانت الحقائق الواقعة كريهه فى حد ذاتهـا ، وتكفى وحدها لاثبات الخداع والغش • ولذلك فان احساس المرء العام هـو الاشفاق على اولئك الذين خـدعوا بها •

٤ ـ لانهم اذ يكرهون الزانى الذى يعبث باحدى زوجاتهم لا يخجلون ان يؤلهوا الذين يعلمون الزنى ، واذ يمتنعـون عن الفسق بالاهل المحرم الزواج بهن يعبدون الذى يمارسـه ، واذ يعترفون بان افساد الأولاد شر فانهم يعبدون الذى يتهم بـه ، ولا يخجـلون من أن ينسبوا لمن يدعونهم آلهة أمـورا تمنـع القوانين من وجودها حتى بين البشر •

---

(١) Omphalo

الفصل الثالث عشر

حماقة عبادة التماثيل وتحقيرها من شأن الفن •

١ ـ ثم انهم بعبادتهم أشياء من خشب وحجر لا يـرون انهم بينما يطأون باقدامهم ويحرقون ما لا يختلف عنها بأى حال من الأحوال يدعون اجزاء من هذه المواد آلهة • وما كانوا يستعملونه فى خدمتهم منذ وقت وجيز ينقشـونه ويعبـدونه بحماقتهم ، دون أن يروا أو يفكروا مطلقا انهم لا يعبدون آلهة بل صنعة الخراط •

٢ ـ لأنه طالما كان الحجر غير منحـوت والخشب غير مشغول فانهم يطأون الواحد ويستخدمون الآخـــر لأغراضهم المختلفة ، حتى فى الأغراض الوضيعة • ولكن حينما يصـورها الصانع حسبما يتفق مع مهارته ، ويصوغ المادة فى شكل رجـل أو امرأة ، فانهم اذ يشكرون الصانع يشرعون فى عبـادتها كآلهة بعد أن كانوا قد اشتروها من الخراط بثمن • وفضـلا عن هذا فان صانع التماثيل كثيرا ما يصلى لمصنوعاته ، كأنه قد نسى العمل الذى اتمـه هو نفسه ، ويدعـو تلك التى كان يقضبها وينحتها ويخرطها قبل ذلك مباشرة آلهة •

٣ ـ ولكن كان الأولى ـ اذا لزم الأمر للاعجاب بهذه الأشياء ـ الاعجاب بمهارة الصانع الماهر لا تفضيل المصنوعات على الصانع • لأنه ليست المادة هى التى جملت الفن بل أن الفن هو الذى جمل وأله المادة • اذن فكان أكثر عدلا ان يعبدوا الصانع لا صناعته ، أولا لأن وجوده سابق للآلهة التى برزت بصنعته ، وثانيا لأنها برزت الى الوجود فى الصورة التى أرادها • أما والحال كما هو ، وقد دعوا العدل جانبا ، وحقروا المهارة والفن ، فانهم يعبدون منتجات المهارة والفن ، وحينما يموت الشخص الذى صنعها ، فانهم يكرمون مصنوعاته كأنها غير فانية مع أنها لو لم تنل منهم عناية يومية لقضى عليها حتما قضاء طبيعيا مع مرور الوقت •

٤ ـ أو كيف لا يرثى لهم المرء من هذه الناحية أيضا اذ يراهم يعبدون ما تعجز عن أن ترى ، ويسمعهم يصلون لما تعجز عن أن تسمع ويشهد أناسا مثلهم ولدوا ولهم حياة وعقل ولكنهم يدعون آلهة تلك الأشياء التى لا حركة لها على الأطلاق ، بل ليست لها الحياة نفسها ؟ والأغرب من الكل أن التى يحفظونها تحت سلطانهم يخدمونها كأسياد • ولا تتوهم أن هذه مجرد حقائق من عندياتى ، أو اننى أفترى عليهم • لأن تحقيق كل هذا واقع تحت البصر ، وهذه الأمور ترى عيانا لمن أراد •

الفصل الرابع عشر

عبادة التماثيل يشجبها الكتاب المقدس

١ ـ وأفضل شهادة عن كل هذا يقدمها الينا الكتاب المقدس الذى سبق أن أنبأنا حينما قال (١) « أصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس · لها أعين ولا تبصر لها أفواه ولا تتكلم · لها آذان ولا تسمع · لها مناخر ولا تشم · لها أيدى ولا تلمس · لها أرجل ولا تمشى · ولا تنطق بحناجرها · مثلها يكون صانعوها » وكما انهم لم ينجوا من توبيخ الأنبياء ، فاليك أيضا دحض تلك العبادة حيثما يقول الروح (٢) « يخزى الذين صوروا الها وسبكوا أصناما لغير نفع · وكل الذين صنعوها يختفون · ليجتمع كل الصم بين البشر ويقفوا معا ليرتعبوا ويخزوا معا · حدد النحار حديدا وطبعه بالقدوم ، وبالمطارق صوره ، وصنعه بذراع قوته ، يجوع أيضا فليس له قوة ، لا يشرب ماء · اختار النجار خشبا ، نجره ، صوره بالفراء ، صنعه كشبه رجل ، كجمال انسان ، واقامة فى بيته ، خشبا قطعه من الغابة

---

(١) مز ١١٥ : ٤ ـ ٨ ·

(٢) اش ٤٤ : ٩ ـ ٢٠ (الترجمة السبعنية) ·

مما غرسه الرب وانماه المطر ليصير للناس للايقـاد ، ويأخذ منه ويتدفأ ، يشعل أيضا ويخبز خبزا عليه ، ولكن البقـــية صنعوها آلهة ، وسجدوا لها ، نصفه أحرقوه بالنار ، عـلى نصفه شوى لحما وأكل وشبع وتدفأ وقال • حسن لى لأنى قد تدفأت رأيت نارا • وبقيتـــه سجد لها ، قائلا : نجنى لأنك انت الهى • لم يعرفوا ولا فهموا لأنه قد طمست عيونهم عـن الابصار وقلوبهم عن التعقـل • ولا يردد فى قلبه وليس لـه معرفة ولا فهم انه احرق نصفه بالنار ، وخبز أيضا عـلى جمره خبزا شوى لحما وأكل • وصنع بقيته رجسا وسجد له • اعرفوا أن قلبهم رماد ، وأنهم مخدوعون ولا يستطيع أحـد أن ينجى نفسه • انظر ، ألا تقـل : فى يمينى كذب ؟ » •

٢ ـ اذن فكيف لا يكم عليهم من الجميع أنهم كفـــرة اولئك الذين اتهمتهم الكتب الالهيـــة بالالحـاد ؟ وهل يمكن أن يكونوا الا تعساء اولئـك الذين ثبتت عليهم هكذا جهـرا عبادة الأشياء الميتة بدلا من الحق ؟ وأى رجاء يكون لهم ؟ وأى عذر يلتمس لهم ان كانوا يثقون فى أشياء عديمة العقـل أو الحركة يكرمونها بدل الله الحق •

الفصل الخامس عشر

ان التفاصيل التى ذكرت عن الآلهة والتى حملها تصوير الشعراء لها والفنانون تدل على انها عديمة الحياة ، وانهـا ليست آلهة ، بل ليست رجالا او نساء شرفاء ٠

١ ـ وليت الصانع يصور الآلهة بلا صورة حتى لاتتعرض لمثل هذا الافتضاح الواضح بانها عديمة الحس ٠ لأنه كان يجوز أن يخدعوا عقـول القوم البسطاء ليظنوا بأن للاصـنام حواس لو لم تكن لها رموز الحواس ، كالأعين مثـلا والمناخر والآذان والأيـدى والفم ، دون أية اشـارة للادراك الحسى الفعلى ودون أن تـكون واضعة يدها عـلى الأمور الحسية ٠ ولكن الواقع أن هذه الحواس كائنة وغير كائنـة ، فهى واقفة وغير واقفة ، وجالسة وغير جالسة ٠ لأنهـا ليست لها الحركة الفعلية لهذه الأشياء ، بل كما أراد صانعها : لذلك فهى تبـقى ثابتة ، دون أن تعطى أية علامة للاله ، بـل مجرد أشياء عديمة الحياة ، وضعت هنالك بصنعة الانسان ٠

٢ ـ وليت سفراء وأنبيـاء هذه الآلهة الكاذبة ، اقصد الشعراء والكتـاب اكتفوا بان يكتبـوا انها آلهة ولم يسجلوا

أيضا أعمالها مما فضحها وأعلن فسادها وانحطاط حياتها ٠ لأنه كان يجوز بمجرد اسم اللاهوت اخفاء الحق ، أو بالاحرى بفع الكثيرين من البشر للانحراف عن الحق ٠ أما وانهم يروون الكثير عن شهوات زفس وأرجاسه ، وافساد الشباب بواسطة الآلهة الأخرى ، وغيرة النساء الشهوانية ٠ والمخاوف وأعمال الجبن ورذائلهم الأخرى فانهم يثبتون على أنفسهم انهم يروون عن أشياء ليست هى آلهة ، ولا بشر محترمين بل بالعكس انهم يروون أقاصيص عن اشخاص مخجلين بعيدين عن كل ما يشرف ٠

الفصل السادس عشر

حجج الوثنيين لتلطيف ما سبق ، وقولهم (١) « ان الشعراء مسئولون عن هذه الاقاصيص التى لا تبنى » ٠ ولكن هل يمكن التدليل على وجود الآلهة وأسمائها بوسيلة أفضل ؟ فاما أن يثبت الاثنان معا أو يسقطا معا ٠ اما أن يدافع عن الأعمال أولا يعترف بالوهية الآلهة ٠ والأبطال لا يمكن تصديقهم ان ادعوا انهم أتوا أعمالا لا تتفق مع طبيعتهم ، كما هو الحال مع الآلهة هنا ٠

١ ـ أما فيما يتعلق بكل هذا فلعل الملحدين يلجأون الى أسلوب الشعراء الخاص قائلين أن من خاصية الشعراء أن

يتخيلوا ما لا وجود له ، وانهم ارضاء لسامعيهم يروون اقاصيص وهمية ، وانهم لهذا السبب كتبوا رواياتهم عن الآلهة • ولكن حجتهم هذه تبدو واهية ـ أكثر من غيرها ـ من نفس تفكيرهم وادعاءاتهم عن هذه الأمور •

٢ ـ لانه ان كان ما قاله الشعراء خياليا ولا حقيقة له فكذلك لابد أن تكون التسمية التى اطلقت على زفس وكرونوس وهيرا واريس وغيرها باطلة ولا أصل لها • وربما ـ كما يقولون ـ تكون الأسماء نفسها وهمية ، ومع أنه لا وجود لمثل هذه الكائنات أى زفس أو كرونوس أو اريس فان الشعراء يتخيلون وجودها لتضليل سامعيهم • ولكن ان كان الشعراء يتخيلون وجود كائنات غير حقيقية فلماذا يعبدونها كأنها كائنة •

٣ ـ أو لعلهم أيضا يقولون انه ان كانت الأسماء غير وهمية فانهم ينسبون اليها أعمالا وهمية • ولكن حتى هذا الدفاع واه كسابقه • لانهم ان كانوا قد لفقوا الأعمال فلا شك فى انهم أيضا قد لفقوا الاسماء التى نسبوا اليها الأعمال • أما أن كانوا صادقين فى ذكر الاسماء لكانوا بالتالى صادقين فى ذكر الاعمال أيضا • وعلى الأخص أن الذين قالوا فى أقاصيصهم بأن هذه آلهة يعلمون يقينا ماذا يجب على الآلهة

أن تعمل ، فلا يمكنهم أن ينسبوا للآلهة آراء البشر ، كما لا يستطع أحد أن ينسب للماء خاصيات الناس ، لأن النار تحرق بينما طبيعة الماء بالعكس باردة •

٤ ـ اذن فان كانت الاعمال جديرة بالآلهة وجب أن يكون الذين يعملونها آلهة ، أما ان كانت أعمال بشر ، بشر منحطين ، كالزنى والاعمال السابق ذكرها ، وجب أن يكون الذين يعملون مثل هذه الاعمال بشرا لا آلهة • لأن أعمالهم يجب أن تتفق مع طبيعتهم ، حتى يمكن فى الحال معرفة الفاعل من أعماله ، والتحقق من العمل من طبيعته • فكما انه اذا تحدث المرء عن الماء والنار مبينا أعمالها لن يقول ان الماء تحرق والماء تبرد ، أو اذا تحدث عن الشمس والأرض فهل يقول ان الأرض تشع نورا أما الشمس فانها تزرع أعشابا وثمارا ، وان قال هذا فانه يفوق أعظم درجات الجنون ـ كذلك لا يمكن لكتابهم ، وبالاخص لأشهر شعرائهم ، ان كانوا يعلمون حقيقة ان زفس وغيره آلهة ، أن ينسبوا اليهم مثل تلك الاعمال التى تظهر أنها ليست آلهة بل بالحرى بشرا ، بل بشرا غير طاهرين •

٥ ـ أو انّ كانوا كشعراء قد تكلموا كذبا وأنتم تطعنون فيهم فلماذا لم يتكلموا كذبا أيضا عن شجاعة الأبطال ،

ويدعوا الضعف بدل الشجاعة ، والشجاعة بدل الضعف ؟ لأنه كان يتعين عليهم فى هذه الحالة كما تحدثوا عن زفس وهيرا ان يتهموا اخيل (١) بعدم الشجاعة ، وان يشيدوا بمقدرة ثيرسيت (٢) ، واذ يتهمون اوديسيوس (٣) بالغباوة يعتبرون نسطور (٤) شخصا عديم الاهمية ، ويروون أعمالا نسائية عن ديوميد (٥) وهكتور (٦) وأعمال الرجولة والبطولة عن هكيوبا (٧) لأن الخيال والاوهام التى ينسبونها للشعراء يجب أن تمتد الى كل الحالات • ولكن الواقع أنهم احتفظوا بالصدق لرجالهم بينما لم يخجلوا من ذكر الأكاذيب عن آلهتم المزعومة •

٦ ـ واذا ما احتج بعضهم بأنهم انما يذكرون الأكاذيب عن أعمالهم للشهوانية ، ولكنهم فى ذكر فضائلهم يتكلمون بالصدق عندما يتحدثون عن زفس كأب الألهة وأسماها الذى يحكم فى السماء ، فهذه الحجة لا أدحضها أنا فحسب بل أن فى استطاعة أى شخص أن يدحضها • واذا ما اعدنا ذكر

---

(١) Achilles اسم الياذة هوميروس

(٢) Thersites (٣) Odysseus

(٤) Nestor

(٥) Diomde (٦) Hector (٧) Hecuba

براهيننا السابقة وضح الحق ضدهم • لأنه بينما تثبت افعالهم انهم بشر فان الثناء الذى يكال اليهم يرتفع فوق طبيعة البشر • اذا فكلا الأمرين يتناقضان ، لأنه لا يمكن أن تتصرف طبيعة الكائنات السماوية بمثل هذه الطرق ، كما أنه لا يمكن أن يخطر ببال أى امرىء أن الأشخاص الذين يتصرفون هكذا يكونون آلهة •

الفصل السابع عشر

فالحقيقة على الارجح هى ان الروايات المشينة صحيحة ، أما الصفات الالهية المنسوبة اليهم فانها تعزى الى تملق الشعراء •

١ ـ وأى استنتاج بقى لنا اذا سوى ان نقرر بأن أقوال الاطراء والثناء كاذبة ومن باب التملق ، أما الاعمال التى يذكرونها عنهم فانها صحيحة ؟ وهذه الحقيقة يمكن التأكد منها من الاختبارات المألوفة • لانك لن تجد شخصا يطرى اى امرىء وفى نفس الوقت يتهمه بفساد الاخلاق • بل بالحرى ان كانت تصرفات البشر مخزية فانهم يكيلون لهم المدح جزافا بسبب الفضائح التى تسببها هذه التصرفات ، لعلهم بمبالغتهم فى المديح يؤثرون على سامعيهم ويسترون معايب الآخرين •

٢ ـ وكما أنه اذا اراد انسان ان يثنى على بعض الأشخاص ولا يجد مادة للثناء فى تصرفاتهم أو فى أية صفة من صفاتهم الشخصية بسبب ما فيها من المخازى ، فانه يبالغ فى امتداحهم بطريقة أخرى ، ويتملقهم ناسبا اليهم ما ليس فيهم ، هكذا فعل شعراؤهم العجيبون ، فانهم اذ انزعجوا بسبب التصرفات المعيبة التى ارتكبها آلهتهم المزعومة نسبوا اليهم اللقب الذى يسمو عن الطبيعة البشرية ، غير عالمين انهم بمزاعهم التى تسمو عن الطبيعة البشرية لا يستطيعون أن يسدلوا الستار على تصرفاتهم البشرية ، ولكنهم بالحرى ينجحون فى اظهار هذه الحقيقة وهى ان صفات الله غير خليقة بهم ، وذلك بسبب تقصيراتهم البشرية .

٣ ـ واننى أميل الى الاعتقاد بانهم ذكروا تصرفات هذه الآلهة وعواطفها الشهوانية مرغمين . اذ طالما انهم كانوا يسعون أن ينسبوا ما يسميه الكتاب المقدس « الاسم الذى لا يشرك فيه أحد » وكرامة الله (١) لمن ليسوا هم آلهة بل بشر فانون ، وطالما كانت هذه الجرأة منهم بالغة ووقحة ،

---

(١) حكمة ١٤ : ٢١ . انظر أيضا اش ٤٢ : ٨ ، ٤٨ : ١١ .

لأجل هذا السبب اضطرهم الحق ـ رغم ارادتهم ـ أن يذكروا العواطف الشهوانية عن هؤلاء الأشخاص لكى تبقى هذه العواطف الشهوانية التى سجلت كتابة عنهم دليلا لكل الانسال على انهم لم يكونوا آلهة ٠

الفصل الثامن عشر

تكملة دفاع الوثنيين (٢) « ان الآلهة تعبد لاختراعها فنون الحياة » ٠ ولكن هذه أعمال بشرية طبيعية لا الهية ٠ وتمشيا مع هذه القاعدة لماذا لا يؤله كل المخترعين ٠

١ ـ اذن فاى دفاع أو برهان على أن هؤلاء آلهة حقيقيين يمكن أن يقدمه أولئك الذين ينادون بهذه الترهات ؟ لأنه مما تقدم قد برهنت حججنا على انهم بشر ، بشر غير محترمين ٠ ولكن لعلهم يتذرعون بحجـــة أخـرى فيلجأون بكبرياء الى الأشياء النافعة للحياة التى اكتشفوها ، قائلين أن السبب فى انهم يعتبرونهم آلهة انهم كانوا نافعين للبشرية ٠ لأن زفس يقال عنه أنه صاحب الفن التشـكيلى (١) ، وبوسيدون (٢)

---

(١) النحت والتصوير ٠ (٢) Poseidon

صاحب فن الملاحة ، وهيفاستوس (١) فن صناعة المعادن ، وأثينا فن النسيج ، وابولو فن الموسيقى ، وارطاميس فن الصيد ، وهيرا صناعة الملابس ، وديمتر (٢) الزراعة ، وغيرهم فنون أخرى، كما روى الذين حدثونا عنهم ٠

٢ ـ ولكن ينبغى للبشر أن ينسبوا هذه الفنون وأمثالها لا للآلهة وحدها بل للطبيعة البشرية العادية ، لأن البشر يخترعون الفنون بملاحظة الطبيعة ٠ فان نفس الحديث العادى يدعو الفنون تقليدا للطبيعة ٠ اذن ان كانوا قد برعوا فى الفنون التى تتبعوها فهذا لا يبرر الاعتقاد بانهم آلهة ، بل بالحرى هذا يبرر الاعتقاد بانهم بشر ، لأنهم لم يخلقوا الفنون ، ولكنهم بها قلدوا الطبيعة كغيرهم ٠

٣ ـ لأن البشر اذ لديهم مقدرة طبيعية على المعرفة طبقا للوصف الذى وصفوا به (٣) فليس هنالك ما يدهشنا أن توصلوا الى الفنون بذكائهم البشرى وبتطلعهم الى طبيعتهم ومعرفتها ٠ أما اذا قالوا بان اختراع الفنون يخولهم الحق أن ينادى بهم آلهة فقد حان الوقت للمناداة بمخترعى الفنون

---

(١) Hephaestus (٢) Demeter

(٣) بواسطة ارسطاطاليس ٠

الأخـرى آلهة ، على نفس الأساس الذى بموجبـه ظـن أن السابقين جديرون بمثل هـذا اللقب • فالفينيقيون اخترعوا الحروف ، وهو مر الشعر القصصي ، وزينون الذى مـن بلدة اليا (١) علم المنطق ، وكواركس السراقوسى (٢) علم البلاغـة وارسطوس (٣) علم تربية النحل ، وتربثوليموس (٤) زراعة الحنطة ، وليكورجو الاسبارطى (٥) وسولون الاثينى التشريع، بينمـا اكتشف بالاميدس (٦) تصفيف الحروف والأرقـام والمقاييس والاوزان • واكتشف غيرهم أشياء كثيرة أخـرى نافعـة للحياة البشرية حسب شهادة مؤرخينا •

٤ ـ اذن فـان كانت الفنـون تخلق آلهة ، وان كانت الآلهة المنقوشة وجدت بسبب الفنون ، لترتب على هذا ـ طبقا لمنطقهم ـ أن الذين اكتشفوا الفنون الأخرى فى ايـام الأخيرة لابد أن يكونوا آلهة • أما اذا حكموا بأن هؤلاء غير خليقين بالكرامة الالهيـة بل اعتبروهم بشرا لـكان من اللائق أن لا

---

(١) Elea بلدة جنـوب ايطـاليا وكانت بها مدرسة للفلسفة اليونانية •

(٢) Corax ofsyracuse (٣) Aristaeus

(٤) Triptolemus (٥) Lycurgus of Sparta & Solon of Athens

(٦) Palesamed

يطلق اسم الآلهة على زفس وهيرا وغيرهما ، بل وجب الاعتقاد انهم هم أيضا كانوا كائنات بشرية ، سيما وانهم لم يكونوا محترمين فى أيامهم • وليس أدل على هذا من أنهم عندما يصورون أشكالهم فى التماثيل يظهرون بانهم ليسوا الا بشرا •

الفصل التاسع عشر

تناقض عبادة التماثيل ـ الحجج التى يقدمونها تبريرا لموقفهم (١) ان الطبيعة الالهية يجب اظهارها فى علامات منظورة (٢) أن التمثال واسطة للاتصالات (السامية فوق البشر) للانسان بواسطة الملائكة •

١ ـ لانه أية صورة أخرى يعطونها لهم فى النحت سوى صورة الرجال والنساء ، والمخلوقات الادنى غير العاقلة ، وكل أنواع الطيور ، والوحوش الأليفة والبرية ، والزحافات ، وكل ما تخرجه الأرض والبحر وكل دائرة المياه • لأن البشر اذ سقطوا فى جنون شهواتهم وملذاتهم ، وعجزوا عن أن يروا شيئا آخر سوى ملذات الجسد وشهواته نظرا لتركيز عقلهم فى هذه الاشياء غير العاقلة ، فانهم توهموا المبدأ الالهى فى الاشياء غير العاقلة ، ونقشوا آلهة كثيرة لتطابق شهواتهم المتعددة •

٢ ـ لأنه توجد بينهم تماثيل للوحوش والزحافات والطيور كما يقول مفسر الديانة الالهية الحقيقية • حمقوا فى أفكارهم • واظلم قلبهم الغبى • وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله لا يفنى بشبه صورة الانسان الذى يفنى ، والطيور والدواب والزحافات • لذلك أسلمهم الله الى اهواء الهوان » • لأنهم اذ سبقوا فدنسوا روحهم بجنون الملذات كما ذكرت آنفا انحدروا الى اختراع الآلهة هذا ، واذ سقطوا انغمسوا فيها من ذلك الوقت فصاعدا كأنهم قد تركوا فى رفضهم لله ، وبدأوا يصورون الله ، أب الكلمة ، فى أشكال غير عاقلة •

٣ ـ أما الذين يحسبون فلاسفة ورجال معرفة بين الاغريق فبينما أضطروا للاعتراف بأن آلهتهم المنظورة هى أشكال ورسوم البشر والأشياء غير العاقلة ، تراهم يقولون ـ دفاعا عن هذا ـ بأنهم صوروا هذه لكى يجيبهم اللاهوت بواسطتها ويكون ظاهرا • لأنهم بغير هذا لا يستطيعون معرفة الله غير المنظور سوى بمثل هذه التماثيل والشكليات •

٤ ـ وأما الذين يدعون بانهم يقدمون أسبابا أعمق وأكثر فلسفة من هؤلاء فانهم يقولون ان السبب فى تهيئة الاصنام وتصويرها هو لاستدعاء واظهار الملائكة والقوات

الالهية ، حتى اذا ما ظهروا بهذه الوسائل أمكنهم تعليم البشر عن معرفة الله ، وحتى يصبحوا كرسائل كتابية للبشر بالرجوع الى ما يمكن أن يتعلموه ليدركوا الله من اظهار الملائكة الالهية بواسطتها • اذن فهذه هى أساطيرهم (١) ، لأنه حاشا لنا أن ندعوها علم اللاهوت • ولكن اذا ما فحص المرء الحجج بدقة وجد أن آراء هؤلاء البشر أيضا لا تقل بطلا وضلالا عن آراء أولئك السابق التحدث عنهم •

الفصل العشرون

ولكن أين توجد هذه الفضيلة المزعومة للتماثيل ؟ هل فى المادة ، أو فى الصورة ، أو فى مهارة الصانع ؟ عدم امكان الدفاع عن كل هذه الآراء •

١ ـ لأن المرء يمكن الرد عليهم ـ مقدما الدعوى أمام محكمة الحق ـ قائلا : كيف يجيب الله بمثل هذه الأشياء أو يصبح معروفا بواسطتها ؟ أيعزى ذلك للمادة التى صنع منها ، أو للصور التى صور عليها ؟ لأنه ان كان يعزى للمادة فما هو الداعى للصورة بدلا من أن يظهر الله ذاته فى كل

---

(١) أو خرافاتهم Mythology

انواع المادة بلا استثناء قبل ان تصور هذه الأشياء ؟ وعبثا قد بنوا هياكلهم ليحبسوا قطعة واحدة من الحجر أو الخشب او الخشب او الذهب طالما كان كل العالم مليئا بهذه المواد •

٢ ـ واما ان كانت الصورة هى السبب للظهور الالهى فما هو الداعى للمادة ـ الذهب وسواه ـ بدلا من أن يظهر الله ذاته فى الحيوانات الفعلية الطبيعية التى ترمز اليها التماثيل ؟ لأن فكرتهم عن الله كان ممكنا ـ بنفس القاعدة ـ أن تكون أكثر نبلا وسموا لو انه اظهر ذاته بواسطة الحيوانات الحية ، عاقلة او غير عاقلة ، بدلا من التطلع اليه فى اشياء عديمة الحياة والحركة •

٣ ـ وهم بهذا يرتكبون اشر أنواع الرذائل الظاهرة ضد انفسهم • لانهم وهم يبغضون وينفرون من الحيوانات الحقيقية والوحوش والطيور والزحافات ، اما بسبب شراستها او بسبب قذارتها ، فانهم ينقشون صورها على الحجر او الخشب او الذهب ويدعونها آلهة • ولكن كان خيرا لهم أن يعبدوا الكائنات الحية نفسها بدلا من عبادة صورها فى حجارة •

٤ ـ ولكن كلا الحالتين ادعاء باطل ، فلا المادة ولا الصورة هى السبب فى الحلول الالهى ، ولكن هى براعة الفن

التى تستدعى اللاهوت ، نظرا لأن الفن هو تقليد الطبيعة •
ولكن ان كان اللاهوت يتصل بالتماثيل بسبب الفن فما الداعى
أيضا للمادة طالما كان مستقرا فى البشر ؟ لأنه ان كان الله يعلن
ذاته بسبب الفن فقط ، وان كانت التماثيل تعبد كآلهة لهذا
السبب ، لكان من الصواب عبادة وخدمة الانسان الذى هو
سيد الفن ، لانه عاقل أيضا وفيه الذكاء •

الفصل الحادى والعشرون

وفكرة الاتصال عن طريق الملائكة تجر متناقضات اشد ، كما انها ـ على فرض صحتها ـ لا تبرر عبادة التماثيل •

١ ـ أما عن دفاعهم الثانى الذى يقولون انه أقوى
يمكن للمرء أضافة الآتى صوابا • ان كانت هذه الأشياء
صنعت بواسطتكم أيها الأغريق ، لا من أجل اظهار الله
نفسه ، بل من أجل حضور الملائكة فيها ، فلماذا تعتبرون
التماثيل التى بها تستدعون القوات كأنها أسمى وأرفع شأنا
من القوات المستحضرة ؟ لأنكم تنقشون الصور لاجل ادراك
الله كما تقولون ، ولكنكم تنسبون للتماثيل الفعلية كرامة
الله ولقبه ، وبذلك تضعون أنفسكم وضعا مزريا •

٢ ـ لانكم بينما تعترفون بأن قوة الله تفوق صغر التماثيل

وحقـارتها ، ولأجـل هـذا لا تتجاسرون عـلى استدعاء الله بواسطتها ، بل القوات الأقل فقط ، فانكم أنتم أنفسكم تخطيتم هذه الأخيرة ، وخلعتم على الحجارة والخشب اسم ذاك الذى فزعتم من حضرته ، ودعوتموها آلهة بدلا من الحجـارة وصنعة البشر ، وعبدتموها • وعـلى فرض أنها خدمتكم ـ كما تدعون كذبا ـ كرسائل كتابية للتأمل فى الله ، فليس من الصواب أن تعطوا الرموز كرامة أكثر من المرموز اليه • لأنه اذا أراد انسان كتابة اسم الامبراطور فانه ان أعطى للاسم كرامة أكثر مما للامبراطور عرض نفسه للخطر • بل بالعكس ان انسـانا كهذا يستحق عقوبة الموت • مع أن الكتابة رسمت بمهـارة الكاتب •

٣ ـ هكذا انتم أيضا لو كانت لكم قوة العقل والتمييز كاملة لما حقـــرتم من شأن هذا الاعلان العظيم عن اللاهـوت ونسبتموه للمادة ، بـل لمـا اعطيتم التمثال كرامة أعظم مـن الانسان الذى نحته • لأنه لو كان هنالك أى ظل للحقيقة فى هذه الحجة وهى أنها كرسائل كتابية تدل عـلى ظهور الله ولذلك فهى كاشارات لله خليقة بان تؤله ، لكان حريا جدا أن يؤله الصانع الذى نحتها وصورها لأنه أقوى منها جـدا وأكثر الوهية ، لأنها قطعت وصورت حسب ارادته • اذن فان كانت الرسائل الكتابية تستحق الأعجاب لأستحق الكاتب

اعجابا أشد بسبب فنه وذكاء عقله • وان كان لا يليق الأعتقاد بانها آلهة لهذا السبب وجب على المرء أن يسألهم عن جنونهم بصدد الأصنام ، طالبا منهم أن يبرروا كونها على مثل هذه الصورة •

الفصل الثانى والعشرون

والتمثال لا يمكن أن يمثل صورة الله الحقيقية ، والا كان الله قابلا للفساد •

١ ـ وان كان سبب تصويرها بهذا الشكل هو ان للاهوت صورة بشرية فلماذا يعطونها أيضا صورة المخلوقات غير العاقلة ؟ أو ان كانت صورته هي صورة الاخيرة فلماذا يصورونه أيضا على مثال المخلوقات العاقلة ؟ أو ان كانت صورة الاثنين معا فى وقت واحد ، ويظنون أن الله على صورة الاثنين مجتمعين ، أى انه على صورة المخلوقات العاقلة وغير العاقلة ، فلماذا يفرقون ما اجتمع ، ويفصلون تماثيل البهائم عن تماثيل الناس ، بدلا من تصويرها دائما من كلا النوعين ، كالصور الخيالية فى الاساطير الخرافية ، مثل سكيلا (١)

---

(١) Scylla حيوان له خمسة رؤوس •

وكربديس (١) والقنطروس (٢) وانوبيس (٣) المصريين الذى له رأس الكلب ؟ لانه كان يجب أما أن يمثلوها فقط من طبيعتين بهذه الكيفية ، او ان كانت لها صورة واحدة فكان ينبغى أن لا يمثلوها فى الصورة الاخرى فى نفس الوقت •

٢ ـ وأيضا ان كانت لها صورة الذكور فلماذا يصورنها فى صورة الاناث كذلك ؟ او ان كانت لها الصورة الأخيرة فلماذا يصورونها تصويرا كاذبا كأنها ذكور ؟ او كان مزيجا من الاثنين فكان يجب عدم تفرقتهما ، بل اتحادهما معا ، مقتفين آثار ما يسمونه خنثوى (٤) ، حتى تقدم خرافاتهم للناظرين لا منظرا مليئا بالخلاعة والفجور فحسب بل أيضا سخيفا ومضحكا •

٣ ـ وبصفة عامة ان كانوا يظنون أن للاهوت جسدا ،

---

(١) Charybdis حيوان له خمسة رؤوس •

(٢) Hippocentaur حيوان خرافى له جسم حصان وراس انسان •

(٣) Anubis اله من الهة المصريين له راس كلب وكانوا يزعمون انه حارس القبور ومرشد الموتى •

(٤) Hermaphrodites اى ذكر وانثى فى واحد •

ولذلك فانهم يجتهدون بان يصوروا له البطن واليدين والقدمين والعنق أيضا والثدى وسائر الاعضاء التى يتكون منها الانسان ، فانظر لأى حد من الوقاحة والفجور تسفل عقلهم ، حتى تكون لهم مثل هذه الآراء عن اللاهوت • لأنه ينتج من هذا أنها لا بد أن تكون عرضة لكل الاعراض الجسدية الأخرى ، والقطع والفصل ، بل للفناء كلية • ولكن هذه وأمثالها ليست من خاصيات الله ، بل بالحرى من خاصيات الأجساد الأرضية •

٤ _ لأنه فى الوقت الذى نرى فيه الله غير جسدى (او هيولى) وغير قابل للفساد أو الفناء ، ولا يحتاج لأى شيء لأى غرض ، نرى هذه قابلة للفساد كما تراها صورا لأجساد ، وتحتاج للخدمات الجسدية كما قلنا سابقا (١) • لأننا كثيرا ما رأينا تماثيل عتقت فجددت ، وتلك التى عبثت بها يد الزمن أو الامطار ، أو بعض حيوانات الارض ، أو غيرها قد أعيدت اليها صورتها • لهذا السبب لا يسع المرء الا أن يحكم بحماقتهم لانهم ينادون بهذه الاشياء _ التى يصنعونها هم أنفسهم _ آلهة ، ولانهم هم أنفسهم يطلبون الخلاص من تلك الاشياء التى يخلعون عليها فنونهم لحفظها من الفساد ، ولانهم يتوسلون أن تقضى حاجاتهم من كائنات يعلمون هم أنفسهم

---

(١) انظر فصل ١٣ : ٣ •

علم اليقين انها فى حاجة لرعايتهم ، ولانهم لا يخجلون أن يدعوا تلك الكائنات التى يخلقون عليها غرفا صغيرة أرباب السماء وكل الارض •

الفصل الثالث والعشرون

ان تنوع العبادات الوثنية يبرهن على بطلانها •

١ ـ على أن المرء لا يحكم بالحادهم لهذه الاعتبارات فحسب بل أيضا من آرائهم المتناقضة عن الأصنام نفسها • لأنها ان كانت آلهة ـ حسب آرائهم وتأكيداتهم ـ فلمن منها يقدم المرء الولاء ؟ ومن منها يحكم الانسان بانه هو الاسمى ، حتى يعبد الله باطمئنان ؟ أو لكى يدركوا اللاهوت بواسطتها ـ كما يقولون ـ بدون غموض أو التباس ؟ فليست نفس الكائنات تدعى آلهة بين الجميع ، بل بالعكس ، ان لكل أمة تقريبا اله خاص • وهنالك حالات ترى فيها المقاطعة الواحدة أو المدينة الواحدة فى تناقض داخلى بصدد خرافاتهم الخاصة باصنامهم •

٢ ـ فالفينيقيون مثلا لا يعرفون تلك التى تسمى آلهة بين المصريين ، ولا المصريون يعبدون نفس أصنام الفينيقيين•

وبينما يرفض السكيثيون آلهة الفرس ، فان الفرس يرفضون آلهة السوزيين • على أن البيلاسجيين (١) يرفضون آلهة تريس (٢) ، وأهل تريس لا يعرفون آلهة طيبة • وعلاوة على ذلك فالهنود يختلفون عن العرب بصدد أصنامهم ، والعرب عن الاثيوبيين ، والاثيوبيون عن العرب • والسوريون لا يعبدون أصنام الكيليكيين ، بينما الامة الكبدوكية تقيم آلهة من كائنات مخالفة لهذه • وبينما اتبع البيثينيون آلهة أخرى ابتدع الارمن آلهة أخرى أيضا • وما الداعى لكى أعدد الامثلة ؟ فأهل القارة يعبدون آلهة خلاف التى يعبدها أهل الجزيرة ، بينما يعبد هؤلاء الأخيرون آلهة سوى التى يعبدها أهل الاراضى الأصلية •

٣ ـ وعلى العموم أن كل مدينة وقرية تفضل آلهتها ـ متجاهلة آلهة جيرانها ـ وتحكم بأن هذه وحدها هى الآلهة • أما عن المكرهات التى فى مصر فلا داعى حتى للتحدث عنها ، لانها ماثلة أمام أعين الجميع • فانك ترى كيف أن للمدن

---

(١) Pelasgians شعب قديم سكن شواطىء وجزائر شرق البحر الأبيض وبحر اليونان •

(٢) Thrace منطقة قديمة فى الشمال الشرقى من مكدونية •

ديانات مضادة ومناقضة بعضها للبعض ، ويسعى الجيران دواما لعبادة آلهة ضد القريبين منهم (١) ، لدرجة أن التمساح الذى يعبده البعض يعتبره جيرانهم مرذولا ، والأسد الذى يعبده الآخرون كاله لا يمتنع جيرانهم عن عبادته فحسب بل أيضا يقتلونه - ان وجدوه - كوحش مفترس ، والسمك الذى يقدسه بعض الشعوب يستعمل كطعام فى مكان آخر • وهكذا تقوم الحروب والفتن والفرص المتعددة لسفك الدم وكل الانغماسات الشهوانية بينهم •

٤ - والغريب جدا - حسب رواية المؤرخين - أن البيلاسجيين الذين تعلموا من المصريين أسماء الآلهة لا يعرفون آلهة مصر ، بل يعبدون غيرها عوضا عنها • وبصفة عامة ان لكل الشعوب التى افتتنت بالاصنام آراء مختلفة ، وديانات مغايرة ، ولا توجد ملاءمة فى حالة واحدة • وليس هذا بالامر العجيب •

٥ - لانهم اذ انحرفوا عن التأمل فى الاله الواحد انحدروا الى أمور عديدة ومتنوعة • واذ تحولوا عن كلمة الآب ، المسيح مخلص الكل ، تشعب ذهنهم بطبيعة الحال فى جهات متعددة •

---

(١) هيرودتس ٢ : ٦٩ •

وكما أن الناس اذا ما تحولوا عن الشمس وذهبوا الى أمكنة مظلمة داروا وهاموا على وجوههم فى طرق وعرة دون أن يروا الأشخاص الموجودين ، وفى الوقت نفسه يتخيلون وجود من ليس لهم وجود ، فيصبحون وهم مبصرون لا يبصرون ، كذلك أيضا أولئك الذين تحولوا عن الله ، واظلمت نفوسهم ، قد أصبحت عقولهم هائمة حائرة ، يتخيلون ما ليس حقيقيا ، كقوم سكارى لا يستطيعون أن يبصروا ٠

الفصل الرابع والعشرون

والتى تدعى آلهة فى مكان ما تستعمل كذبائح فى مكان آخر ٠

١ ـ اذن فليس هذا برهانا يسيرا على الحادهم الحقيقى لأن آلهة كل مدينة ومملكة اذ تعددت جدا ، وأصبح كل واحد يحاول ابادة اله الآخر ، أصبح الجميع يحاولون ابادة جميعها لان تلك التى يعتبرها البعض آلهة تقدم ذبائح وتقدمات للشرب للآلهة المزعومة عند الآخرين ، وتلك التى تعتبر ذبائح عند البعض يعتبرها الآخرون بالعكس آلهة ٠ فالمصريون يعبدون الثور ، والعجل ابيس ، وغيرهم يقدمون هذه البهائم ذبائح

لزفس • وحتى اذا لم يقدموا نفس البهائم - التى قدسها الآخرون - كذبائح ، فانهم اذ يذبحون نظائرها يبدو أنهم قدموها هى بعينها • والليبيون يؤلهون كبشا ويدعونه أمون ، وفى الأمم الأخرى يذبح هذا الحيوان كذبيحة لآلهة كثيرة •

٢ - والهنود يعبدون ديونيسوس ، مستعملين الاسم رمزا للخمر ، والآخرون يسكبون الخمر كتقدمة للالهة الأخرى • وغيرهم يكرمون الانهار والينابيع ، والمصريون فوق الكل يؤدون احتراما خاصا للمياه ويدعونها آلهة ، ومع ذلك فالاخرون حتى المصريون أنفسهم الذين يعبدون المياه ، يستخدمونها لغسل الاقذار من غيرهم ومن أنفسهم ، وبطريقة مخزية يطوحون ما استعملوه • وتكاد تنحصر كل أصنام المصريين فيما يقدم كذبائح لالهة الأمم الأخرى ، ولذلك يهزأ بهم من الاخرين ، لانهم يؤلهون تلك التى ليست آلهة بل هى ذبائح كفارية وتضحيات لدى الاخرين بل لديهم هم أنفسهم •

الفصل الخامس والعشرون

الذبـائح البشرية • سـخافتها • كثرتها • نتائجهـا الوخيمـة •

١ ـ على أن البعض قد انحـدروا فى هذه الأيام الى هوة سحيقة من الضلال والحماقة فاصبحوا يذبحـون حتى الرجال ويقدمونهم ذبائح لآلهتهم الكاذبة ، رغم أنها على شكل وصورة الرجال • ولم ير هؤلاء التعساء أن الضحايا التى يذبحونها هى بنفس صورة الآلهـة التى يصنعونها ويعبدونها ، والتى يقدمون اليها الرجال • ويمكن القول انهم يقدمون النظـائر للنظائر ، أو بالحرى الأعلى للادنى • لانهم يقدمون مخلوقات حية لمخلوقات ميتة ، وكائنات عاقلة لأشياء عديمة الحركة •

٢ ـ لأن السكيثيين ، الـذين يدعـون التـوريين (١) يقدمون كذبائح لعذرائهم ـ كما يسمونها ـ أولئك الـذين نجوا من السفن التى تحطمت ، أى الاغريق الذين يلقون القبض

---

(١) Taurians قسم من السكيثيين وكانوا يعيشـون فى شبه جزيرة القرم بجنوب روسيا ولاتزال المنطقـة تدعى باسمهم توريدا Taurida

عليهم ، وبهذا يمعنون فى القسوة والفساد ضد أنـاس مـن جنسهم ، ويفضحون وحشية آلهتهم ، لان أولئك الذين أنقذتهم العناية الالهية من الخطر ومن البحر يقتلونهم هم ، مقاومين العناية الالهية ، لانهم يبطـلون أعمـال رحمة العناية الإلهية باخلاقهم الوحشية أما الآخرون فانهم عنـدما يعودون مـن الحرب ظافرين يقسمون أسراهم الى مئات ، ويأخـذون رجلا من كل مائة ويذبحون لاريس الرجل الذى أختـــاروه من كل مـائة •

٣ ـ على أنه ليس السكيثيون وحدهم هم الذين برتكبون هذه الفظائع بسبب الوحشية الطبيعية فيهم كمتوحشين،بل بالعكس أن هذا العمل كان نتيجـة لازمة للشر الذى يتصل بالاصنام والآلهة الكاذبة • لان المصريين كانوا معتـادين سابقا أن يقدموا ذبـائح مـن هـذا القبيـــل الى هيرا ، والفينيقيون والكريتيون كانوا معتادين أن يترضوا وجـه كرونوس (١) بذبح أطفالهم • وحتى قدماء الرومانيين اعتـادوا عبـادة

---

(١) Cronos من اسمى آلهتهم وكان لا يفضـله شوى زفس •

المشترى لاثياريوس (١) ـ كما كانوا يدعـونه ـ بتقـديم ذبائح بشرية ، البعض باحـدى الطرق ، وغيرهم بطـريقة اخـرى ، ولكن الكل بلا استثنـاء ارتكبوا الرجاسات ودنسوا انفسهم ، فدنسوا أنفسهم بارتكاب أعمال القتـل ، ونجسوا هياكلهم اذ ملأوها بدخان مثل تلك الذبائح ٠

٤ ـ اذن فقد كان هذا مصدر الشرور المتعددة للبشرية ٠ لانهم اذ رأوا أن آلهتهم الكاذبة سرت بهذه الأمـور بدأوا يقلدون آلهتهم بنفس الأعمال السيئة ، ظـانين ان تقليـد الكائنات السامية ـ كما كانوا يعتبرونها ـ فخر لهم ٠ مـن ثم بدأت البشرية يتضـاءل عـددها بقتل الرجال البـالغين والأولاد ، وباعطـاء التصريح لارتكاب كل الانـواع ٠ والان صبحت كل مدينة تقريبا مليئة بكل أنواع الفجور ، نتيجـة طبـاع آلهتها الوحشية ، كما انه لا يوجد واحد ذو حياة وقورة في هياكل الاصنام سوى ما شهد الجميع بفجوره (٢) ٠

---

(١) Jupiter Latius الالهـة الـذى كان يعتبر حاميا للتحالف اللاتينى الذى كان مكونا من ثلاثين مدينـة لاتينيـة ٠

(٢) اى ان التمثال عديم الحياة هو الوحيد بين المصلين الفاجرين الخالى من الرذيلة ، رغم ان المصلين ينسبون اليـه =

الفصل السادس والعشرون

ان الفساد الأدبى بين الوثنيين ناشىء عن الآلهة حسب اعتراف الجميع ٠

١ ـ فالنساء مثلا اعتدن الجلوس فى الأيام القديمة فى هياكل فينيقية مكرسات لآلهتها اجرة أجسادهن ، متوهمات انهن ترضين آلهتهن بالزنى ، وانهن بذلك حصلن على رضائها ٠ أما الرجال فقد انكروا طبيعتهم ، ولم يقبلوا أن يظلوا ذكورا بعد ، بل تخفوا فى شكل النساء ، اعتقادا منهم انهم بهذا يرضون ويكرمون أم آلهتهم المزعومة ٠ على أن الجميع يعيشون حياة متسفلة ، بل يتنافسون فى أقذر الموبقات ، وكما قال بولس ، خادم المسيح المبارك (١) « لان اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة ٠ وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الانثى

=

صفات الهية ، وبالتالى ينسبون اليه حياة داعرة حسب خزعبلاتهم ٠

(١) رو ١ : ٢٦ و ٢٧ ٠

الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور » •

٢ - ولكنهم اذ يتصرفون بهذه الكيفية وأمثالها يعترفون ضمنا ، ويبرهنون على أن حياة آلهتهم المزعومة هى على هذا المثال • لانهم تعلموا من زفس افساد الشباب والزنى ، ومن افروديت الدعارة ، ومن ريا (١) الفجور ، ومن اريس القتل ، ومن آلهة أخرى أمورا مماثلة أخرى تعاقب عليها القوانين ، وينفر منها كل رجل عفيف • ايليق تسمية من يرتكب مثل هذه آلهة ، بدلا من اعتبارها أشد بهيمية من البهائم بسبب دعارة طرقها ؟ أيليق اعتبار عابديها كائنات بشرية بدلا من الرثاء لهم لانهم عديموا العقل أكثر من البهائم ، وعديمو الروح أكثر من الأشياء عديمة الحياة ؟ لأنهم لو اعتبروا الناحية العقلية فى نفوسهم لما انغمسوا فى هذه الأشياء بمثل هذه الرعونة ، ولما أنكروا الاله الحقيقى ، أبا المسيح •

---

(١) Rhea ام الآلهة واخت اورانيوس وزوجة كرونوس •

الفصل السابع والعشرون

واذ وصلنا الى هذه النتيجة الحاسمة وهى محض العبادة الوثنية الشعبية ، نتقدم الآن الى النوع الارقى اى عبادة الطبيعة • كيف تشهد الطبيعة لله باعتماد كل اجزائها بعضها على بعض ، الأمر الذى يمنعنا من ان نعتقد فى أى واحد منها أنه هو الاله العلى • توضيح هذا اخيرا •

١ ـ ولكن لعل أولئك الذين تخطوا حدود هذه الاشياء ، والذين يقفون منزعجين أمام الخليقة ، يشتركون فى التبرؤ مما صار محضه وشجبه على كل الوجوه ، اذ قد اخجلوا بالكشف عن هذه الرذائل ، ولكنهم فى نفس الوقت يظنون انهم على أساس متين فى اعتقادهم الذى لا يناقش ، أى فى عبادة الكون وأجزاء الكون •

٢ ـ لانهم قد يفتخرون أنهم يعبدون لا مجرد أخشاب وحجارة وأشكال البشر والطيور والزحافات والبهائم غير العاقلة ، بل الشمس والقمر وكل الكون السماوى ، والارض ايضا ، وكل دائرة المياه • وقد يقولون انه لا يستطيع احد ان يبين باى حال ان هذه ليست ذات طبيعة الهية طالما

كان واضحا للجميع أنه لا ينقصها الحياة أو العقل ، بل تفوق حتى طبيعة البشر ، لأن الواحد يسكن السماء ، والاخر يسكن الارض ٠

٣ ـ اذن فخليق بنا أن نتأمل فى هذه النقط أيضا ، ونفحصها ، لأن بحثنا هنا أيضا سوف يبين أن براهيننا ضدها حقيقية ٠ ولكن قبل البدء بأدلتنا أو النظر فيها يكفى القول أن الخليقة ترفع صوتها ضدهم مشيرة الى الله كخالقها وبارئها ، الذى يسيطر على الخليقة وكل الاشياء ، والذى هو أب ربنا يسوع المسيح ، الذى يتحول عنه الفلاسفة المدعون ليعبدوا ويؤلهوا الخليقة التى أبدعها ، والتى هى نفسها مع ذلك تعبد الرب الذى ينكرونه هم بسببها ، وتعترف به ٠

٤ ـ لانه اذا كان الناس يقفون هكذا منذهلين أمام أجزاء الخليقة ، متوهمين انها آلهة ، فانه يمكن توبيخهم باعتماد هذه الاجزاء بعضها على بعض ، وانها فضلا عن هذا تظهر أبا الكلمة (الذى هو رب وصانع هذه الاجزاء أيضا) وتشهد له بناموس طاعتها له الذى لا ينقض ، كما يقول الناموس الالهى أيضا (السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (١)) ٠

---

(١) مز ١٩ : ١ ٠

٥ - على أن البرهان على كل هذا ليس غامضا ، بل واضح كل الوضوح للذين لم تنطمس بصيرتهم انطماسا تاما . لأنه اذا أخذ المرء أجزاء الخليقة منفصلة ، وتأمل فى كل منها على حدة ، كالشمس مثلا على حدة ، والقمر على حدة ، وأيضا الأرض والهواء ، والحرارة والبرودة ، وعناصر الرطوبة والجفاف ، وفصلها عن ارتباطها المتبادل ، فانه يجد حتما أنه لا يمكن أن يكون أحدها كافيا لنفسه ، بل كل منها فى حاجة لمساعدة الاخر ، وانها تحتفظ بكيانها بمساعداتها المتبادلة . فالشمس تسير فى كل دائرة السماء ولن تتعدى فلكها ، والقمر وسائر النجوم تشهد للمساعدة التى تستمدها من الشمس . وظاهر أن الأرض أيضا لا تعطى محصولها بدون الامطار ، وهذه بدورها لا تهطل على الأرض بدون مساعدة السحب . والسحب لا يمكن أن تظهر من تلقاء ذاتها وتوجد بدون الهواء . والهواء يسخنه الهواء الاعلى (١) ، ولكنه يستضىء لامعا بواسطة الشمس لا من تلقاء ذاته .

٦ - والآبار أيضا والانهار لا يمكن أن يكون لها وجود بدون الأرض . ولكن الارض لا ترتكز على نفسها ، بل هى قائمة على دائرة المياة ، وهذه أيضا محفوظة فى مكانها لأرتباطها

---

(١) وفى بعض النسخ « يسخنه الجو » .

ارتباطا وثيقا بمركز الكون • والبحـار والمحيطـات العظمى التى تتدفق خارجا حول كل الارض تحركها الرياح وتحملها حيثما تدفعها قوة الريح • والرياح بدورها لا تنبعث من تلقـاء ذاتها ، بل وفق من كتبوا فى هذا الموضوع ، أى تتولد فى الهواء من الحرارة المحرقة ودرجة حرارة الهواء العـلوى الأكثر ارتفاعا من الهواء السفلى والذى يهب فى كل اتجـاه مندفعـا نحو الأخير (١) •

٧ ـ أما عن العناصر الاربعـة التى تتكون من طبيعـة الاجساد أى الحرارة والبرودة ، والجفاف والرطوبة ، فمن ذا الذى اختل توازنه العقـلى فلا يعرف أن هذه الأشياء كائنـة فعـلا مرتبطة ببعضها ، ولكنها اذا فصلت عن بعضها واخـذ كل منها عـلى حدة فانها تميـل الى أن تلاشى حتى بعضـها بعضا وفق القوة الاعظم فى العنصر الاوفر • لان الحرارة تلاشيها البرودة ان كانت هذه الاخيرة بكمية اغزر ، والبرودة أيضـا تعدمها قوة الحرارة ، والشىء الجاف بتشبع بالرطوبة ، والرطب يجففه الجفـاف •

---

(١) اى نحو الهواء السفلى •

الفصل الثامن والعشرون

على أن النظام الكونى لا يمكن أن يكون الها • لانه يترتب على هذا أن الله مكون من أجزاء غير متشابهة ، وتخضعه للانحلال •

١ ـ اذن فكيف يمكن أن تكون هذه الأشياء آلهة وهى مفتقرة لمساعدة بعضها البعض ؟ وكيف يليق أن نسأل منها أى شىء ان كانت هى أيضا تطلب المساعدة لنفسها بعضها من بعض ؟ لأن الحقيقة المسلم بها عن الله أنه ليس فى حاجة لأى شىء ، بل هو معتمد على ذاته مستقل بذاته ، ومنه تستمد كل الاشياء كيانها ، وهو يخدم الكل قبلما يخدمه الكل ، فكيف يجوز أن ندعو الشمس الها والقمر وسائر أجزاء الخليقة، التى ليست من نوع الآلهة ، بل هى مفتقرة لمعونة بعضها البعض ؟

٢ ـ ولكن لعلها اذا جزئت وأخذت على حدة فان خصومنا أنفسهم لابد أن يعترفوا بأنها تعتمد بعضها على بعض ، لأن المظاهر واضحة وعينية • على أنهم قد يتحدون الكل معا كأنها تكون جسما واحدا ويقولون ان الكل هو الله • لأنه اذا ما اقترن الكل معا لا يحتاج الى معونة خارجية ،

بل تكون المجموعة كافية لذاتها ومستقلة من كل الوجوه • هكذا قد يقول لنا على الأقل أولئك الفلاسفة المزعومون • ولكننا هنا نفند آراءهم مرة أخرى •

٣ — وهذه الحجة لا تقل عن سابقتها — التى عولجت — فى اظهار فسادهم مقرونا بالجهل المطبق • لأنه اذا كان اقتران الأجزاء يكون الكل ، وكان الكل مكونا من الأجزاء ، فان الكل يتضمن الأجزاء ، وكل منها جزء من الكل • ولكن هذه بعيدة كل البعد عن فكرة الله • لأن الله هو الكل ، وليس مكونا من مجموعة أجزاء ، ولا يحتوى على عناصر متعددة ، بل هو نفسه خالق النظام الكونى • انظر أى تجديف ينطقون به ضد اللاهوت عندما يقولون هذا ؟ لأنه اذا كان مكونا من أجزاء فانه يتبع هذا حتما انه لا يماثل نفسه ، وانه مكون من أجزاء غير متماثلة • لأنه ان كان شمسا فهو ليس قمرا ، وان كان قمرا فهو ليس أرضا ، وان كان أرضا فلا يمكن أن يكون بحرا • وهكذا اذا أخذ المرء الأجزاء واحدا فواحدا تبين له سخافة نظريتهم هذه •

٤ — على أن النقطة التالية المستقاة من مشاهدة جسمنا البشرى كافية لدحضهم • لأنه كما أن العين ليست حاسة السمع ، ولا الأخيرة يدا ، ولا البطن صدرا ، ولا العنق قدما ،

بل لكل عضــــو وظيفته ، والجسم الواحد يتكون من هـذه الأجزاء المتميزة ، التى اتحدت لتـكون نافعــة ، والمقــدر لهــا أن تنفصل على مدى الزمن عندما تسمح الطبيعة التى اتحدتها معها بأن تفصلها كأرادة الله الذى أمر بها ـ هكذا (وليسامحنا العلى لأستخدام هذه الحجة) اذا ما أتحـدوا أجزاء الخليقــة فى جسم واحدا ونادوا به الها فانه يتبع هذا أولا انه لا يماثل نفسه كما وضحنا سابقا ، وثانيا أنه مقضى عليه أن يتجـزأ ثانية وفقا للميل الطبيعى لأنفصال الاجزاء ٠

الفصل التاسع والعشرون

وتوازن القوى فى الطبيعة يبين انها (الطبيعة) ليست هى الله ، سواء كانت مجتمعة او مجزاة ٠

١ ـ وبطريقة أخرى يمكن فضح الحادهم بنور الحق ٠ لانـــــه ان كان الله بطبيعته لا جســد له ، وغير منظــــور ، ولا ملموس ، فكيف يتخيلون أن الله جسد ، ويعبـدون بكل اكرام اله تلك الاشياء التى نراها باعيننا ونلمسها بأيدينا ؟

٢ ـ وأيضا ان كان ما قيل عن الله حقيقيا ، أى أنـــه قادر على كل شىء ، وأنه لا سلطان لأى شىء عليه ، بـل له السلطان والسيادة على الكل ، فكيف عجز أولئك الذين يؤلهون الخليقة عن أن يروا أنها لا تستوفى هذا الوصف عن الله ؟ لأنه حينما تكون الشمس تحت الأرض فأن ظـل الأرض يجعل

نورها غير منظور ، بينما فى النهار تحجب الشمس القمـر بشدة ضيائها • والصقيع كثيرا ما اضر ثمار الأرض ، والنار تطفا بغزير المياه • والربيع يلزم الشتاء بان يفسح له المجال ، بينما الصيف لا يسمح للربيع بأن يتعـدى حدوده ، وهـو بدوره يمنعــه الخريف من أن يتعـدى أوانه •

٣ ـ اذن فان كانت آلهة لوجب أن لا يقهـــر أو يحجب بعضها بعضا ، بل أن تتعـاون على البقاء دواما ، وتــؤدى وظائفها متعاونـة • كان يجب أن تضىء الشمس والقمر وسائر مجموعة الكواكب فى الليل وفى النهار بالتساوى معا ، وتعطى نورها للكل لكى تستضىء بها كل الأشياء • كان يجب أن يستمر الربيع والصيف والخريف والشتاء وتسير معـا دون تغيير • كان يجب أن تختلط البحار بالينابيع وتمتـد مياهها للانسان معا • كان يجب أن يكون الجو هادئا وعاصفا فى وقت واحد • كان يجب أن تؤدى النار والميــاه نفس الخدمة للانسان • لانـه يجب أن لا ينال أى واحـد أى ضرر منها ان كانت آلهة كمـا يقول خصومنا ، لا تفعـل أى شىء للضرر بل بالحرى تفعل كل شىء للخير •

٤ ـ ولكن ان لم يكن أى شىء من هـذه ممكنا بسبب تناقض بعضها بعضا فكيف يظل ممكنا أن يعطى اليهـا اسم الآلهة ، أو تعبد بالاكـرام اللائـق بالله مـع أنهـا مخـالفة

بعضها لبعض ، وفى نزاع مستمر ، وعاجزة عن أن تتحد معا ؟ كيف يمكن للاشياء المتنازعة بطبيعتها أن تهب السلام للآخرين اجابة لصلواتهم ، وتصبح لهم مصدر وئام وألفة وسلام ؟ اذن فلا يمكن أن تكون الشمس أو القمر ، أو أى جزء آخر من أجزاء الخليقة ، بل تماثيل الحجر أو الذهب أو أية مادة أخرى ، أو زفس وأبولو وغيرهما التى تدور حولها اساطير الشعراء – لا يمكن أن تكون آلهة حقيقية • هذا ما بينته براهيننا على أن بعض هذه أجزاء من الخليقة ، والبعض الآخر عديم الحياة ، والبعض الآخر كانوا مجرد بشر قابلين للفناء • لذلك فان عبادتها وتأليهها ليسا من الديانة فى شيء ، بل هما مصدر للفساد وكل أنواع الفجور ، وعلامة على شدة الابتعاد عن معرفة الله الواحد الحقيقى ، أى أبا المسيح •

٥ – اذن فاذ قد تم اثبات هذا ، وتبين أن العبادة الوثنية للاغريق مليئة بكل فساد ، وأن اختراعها لم يكن للخير بل لتدمير الحياة البشرية • تعال الآن – كما وعدنا فى براهيننا فى البداءة – لنسير فى طريق الحق ، بعد أن زهق الباطل • تعال لتنظر مدبر ومبدع الكون ، كلمة الآب ، لكى تدرك الآب به ، ولكى يعرف اليونانيون كيف طوحوا بأنفسهم عن الحق بعيدا •

الباب الثانى

الفصل الثلاثون

تستطيع نفس الانسان أن تعرف الله من تلقاء ذاتها ، لأنها عاقلة ، وذلك ان كانت امينة لطبيعتها •

١ ـ لقد ثبت بأن الاعتقادات السابق التحدث عنها ليست أكثر من مرشد مضل للحياة • أما طريق الحق فانه يهدف للوصول الى الله الحقيقى • ولكى نصل الى معرفة هذا الطريق ، وادراكه ادراكا تاما ، لا يحتاج الأمر لشىء آخر سوى أنفسنا • وان كان الله اسمى منا جدا فالطريق اليه ليس بعيدا ، ولا خارجا عن أنفسنا ، بل هو فينا ، ومن الميسور أن نجده من تلقاء ذواتنا لأول وهلة كما علم موسى أيضا عندما قال (١) « الكلمة (أى كلمة الايمان) فى قلبك » • الأمر الذى أعلنه المخلص وأيده حينما قال « ملكوت الله داخلكم (٢) » •

---

(١) تث ٣٠ : ١٤ •

(٢) لو ١٧ : ٢١ •

٢ - لانــه ان كان لنا فى أنفســنا الايمان وملكوت الله اســتطعنا بسرعة أن نــرى وندرك ملك الــكون كلمة الآب المخــلص • لذلك فــلا يلتمسن اليونـانيون - عبدة الاوثان - المعاذير لانفسهم ، ولا يخدعن أى انسان آخر نفسه ، مدعيا أنه ليس لديه مثل هذا الطريق ، متخــذا هــذا الادعاء تكئه أو مبررا لالحــاده •

٣ - لاننا جميعا قد وضعنا أقدامنا على هذا الطريق ، وكلنا امتلكناه ، حتى وان كنــا لا نريد جميعــا السير فيه ، بل يفضل البعض الانحراف عنه ، وارتكاب الاخطاء بســبب مسرات الحياة التى تستميلهم من الخارج • وان سأل البعض ما هو هذا الطريق ، قلت انه هو نفس كل واحد منا ، وقوة الذكاء الكامنة فى النفس • لان بهــا وحدها يمكن التأمل فى الله وادراكه •

٤ - الا اذا أنكر المفسدة أن لهم نفســا كما أنــكروا الله ، وهذا أمر أكثر معقولية من سائر أقوالهم ، لأنه لا يليق بأناس ذوى ادراك انكار الله خالق ومبدع الادراك • اذن فمن الضرورى - من أجل البسطاء - أن نبين بايجــاز أن لــكل واحد من بنى البشر نفسا ، وهذه النفس عاقلة ، ســيما وان بعض الطوائف تنكر هذا أيضا ، ظانين أن الانسان ليس الا مجرد الجسد المنظور • وهذه النقطــة اذا ما تم البرهان عليها قدم اليهم - من أشخاصهم - برهان أوضح ضد الأوثان •

الفصل الحادى والثلاثون

البرهان على وجود النفس العاقلة (١) اختلاف الانسان عن الحيوان (٢) قدرة الانسان على التفكير الموضوعى • التفكير للعقل كالموسيقى لآلاته • ظواهر الأحلام تدعم هذا •

١ ـ أولا ـ اذن فالطبيعة العاقلة للنفس تتثبت بشدة من اختلافها عن المخلوقات غير العاقلة • لأن السبب فى تسميتها بهذا الاسم (أى المخلوقات غير العاقلة) هو أن الجنس البشرى عاقل •

٢ ـ ثانيا ـ وليس هذا برهانا عاديا أن الانسان هو وحده الذى يفكر فيما هو خارج عن نفسه ، ويعلل الأشياء غير الموجودة أمامه فعلا ، ويتأمل ، ويختار الأفضل • لأن الحيوانات غير العاقلة ترى فقط ما هو أمامها ، ولا تتأثر الا بما تقع عليه أعينها ، حتى ولو كانت النتائج ضارة لها ، بينما لا يتأثر الانسان بمجرد ما يراه ، بل يحكم فكره فيما يراه بعينيه • فغرائزه مثلا كثيرا ما يتحكم فيها العقل ، وعقله خاضع لاعادة التأمل والتفكير • وكل واحد يدرك ـ ان كان محبا للحق ـ أن عقل البشرية متميز عن حواس الجسد •

٣ ـ ولانه متميز فهو يتحكم فى الحواس ، التى حينما

ترى المرئيات فان العقل يميز ، ويتأمل ، ويبين لها ما هـو أفضل • لأن الوظيفة الوحيدة للعين أن ترى ، ووظيفة الأذن أن تسمع ووظيفة الفم أن يذوق ، ووظيفة الأنف تمييز الروائح ، ووظيفة الأيدى اللمس • ولكن ماذا يجب على المرء أن يـرى ويسمع ، ماذا يجب عليه أن يلمس ويذوق ويشم ، هـذا أمر خارج عن نطاق الحواس ، ويتعلق بالنفس وبالعقل المسـتقر فيها • فاليد تستطيع أن تستل السيف ، والفم قادر أن يذوق السم ، ولكن كلاهما لا يعـرف أن هذه مؤذيـة ان لم يقـــرر العقـــل •

٤ ـ واذا ما تأملنا الى هذه الحقيقة بالاستعانة بتشبيه وجدناها تشبه قيثارة دقيقة الصنع فى يد موسيقى ماهر • لأنه كما أن لكل من أوتار القيثـارة نغمتها المضبوطة ، مرتفعة كانت أو منخفضة أو متوسطة ، حادة أو غير حادة ، الا أن أوزانها لا يمكن تمييزها ، وأزمانها لا يمكن ادراكها بدون الفنان • لأن الاوزان لا تتبين ، والازمان لا تستقيم الا اذا ضرب على الأوتار ماسك القيثار ولمس كلا منها بدقة • هكذا الحال أيضا فان الحواس فى الجسد كالقيثارة متى ساد عليها العقل الماهر استطاعت النفس أيضا ان تميز وتعرف ماذا تصنع وكيف تتصرف •

٥ ـ على ان هذا تتميز به البشرية فقط ، وهـذه هى الناحية العقلية فى النفس البشرية ، وبه تختلف عن البهائم ، وتبين انها حقيقة متميزة عما يرى فى الجسد • فمثلا كثيرا ما فكر المرء وتأمل فيما هو فى السماء فى الوقت الذى يـكون الجسـد ملقى عـلى الأرض • وعنـدما يكون الجسد ساكنا ومستريحا ونائما كثيرا ما تحرك المرء داخليا ((١) ورأى ما هو خارج عن نفسه ، متجولا فى ممالك أخـرى هائما ، ملتقيا بمعارفه ، وبهذه الوسائل يتكهن ويتنبأ عن أحداث النـهار • وهل يمكن أن يعـزى هـذا الا للنفس العاقلة التى بها يفكر الانسان فى الاشياء التى تسمو عليه ويدركها ؟ •

الفصل الثانى والثلاثون

(٣) والجسد لا يمكنه ان يبدع مثل هذه الظواهر • والواقع ان عمل النفس العاقلة يرى من تحكمها فى غرائز اعضاء الجسـد •

١ ـ والآن نضيف نقطة اخـرى لتكملة بحثنا لفـائدة

---

(١) وفى بعض القراءات (كثيرا ما تحرك الانسـان الباطن اى النفس) •

اولئـك (١) الذين ـ بلا خجل ـ يلتجئـون الى انكار العقل ٠ كيف يمكن ـ والجسد فان بالطبيعة ـ ان يفكر الانسان فيما يتعلق بالخلود ، وكثيرا ما رحب بالموت اذا تطلبت الفضـيلة ذلك ؟ وطالما كان الجسد لا يبقى الا لوقت محدود فكيف يفكر الانسان فى الأمور الابدية ، حتى يحتقر ما هو أمامه ، ويرغب فيما وراءه ؟ والجسد لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يفـكر هذه الافكار عن نفسه ، ولذلك لا يستطيع أن يفكر فيما هو خـارج عن نفسه ٠ فهو فان ولا يدوم الا لوقت محـدود ٠ ويتبع هذا أن من يفكر فيما هو ضد الجسد وضد طبيعته يجب أن يكون متميزا فى نوعه اذن فهل يمكن أن يكون هذا الا النفس العاقلة الخالدة ؟ لانها تنقل صدى الأمور الأعـلى ، لا خـارج الجسد بل داخله ، كما يفعل الموسيقى بقيثارته ٠

٢ ـ وأيضا كيف يمكن للعين وقد خلقت بطبيعتها لكى ترى ، والأذن لتسمع ، كيف يمكن أن تتحولا من بعض الاشياء لتختار غيرها ؟ لأنه ما الذى يصد العين عن النظر ؟ أو ما الذى يغلق الاذن عن السمع الذى هـو وظيفتهـا الطبيعية ؟ أو ما الذى كثيرا ما يمنع الحلق ـ الذى من طبيعته أن يذوق الاشياء ـ عن وظيفته الطبيعية ؟ أو ما الذى يعـوق اليد عن

---

(١) فصل ٣٠ ٠

حركتها الطبيعية وهى لمس الاشياء ؟ أو يحـول حاسـة الشم عن وظيفتها العـادية ؟ ما الذى يعمل هكذا ضد غرائز الجسد الطبيعية ؟ أو كيف يمكن للجسد ، وقد تحول عن طريقه الطبيعى أن يخضـع لمشـورة غيره ، ويسـمح لنفسه أن يكون رهـن اشـارته ؟ هـذه تبرهن بكل بساطة أن النفس العاقلة تسود عـلى الجسد •

٣ ـ لأن الجسد لم يتكون ليقود نفسـه بنفسه ، بل هو يتحرك كارادة غيره ، كما أن الحصان لا يضع النير على عنقه بنفسه ، بل يقـوده سيده • من هنا كانت النواميس للكائنات البشرية لتعمل الخير وتمتنع عن الشر ، بينما لا تفكر البهائم فى الشر ولا تحركه ، لأنها (١) خارجة عن دائرة المعقـولية والفهم • اذا فاظن أن وجود النفس العاقلة فى الانسان قـد تبرهن مما قدمنـاه •

الفصل الثالث والثلاثون

النفس خالدة • البرهان على ذلك (١) من انها متميزة عن الجسد (٢) انها مصدر الحركة (٣) قدرتها على أن تسـبح فيما هو خارج عن الجسد بالتأمل والتفكير •

---

(١) أى البهائم •

١ ـ أما أن النفس جعلت خالدة فهذا موضوع آخر فى تعليم الكنيسة يجب أن تعرفه لكى تتبين كيف يجب تحطيم الاوثان • على أننا سوف نصل ـ بدرجة أقرب ـ الى معرفة هذا مما نعرفه عن الجسد ، ومن اختلاف النفس عن الجسد ، لأنه ان كانت براهيننا قد أثبتت أن النفس متميزة عن الجسد ، وان كان الجسد بالطبيعة فانيا ، فيتبع هذا أن النفس خالدة لأنها لا تماثل الجسد •

٢ ـ وأيضا لأنه ان كانت النفس ـ كما بيننا ـ تحرك الجسد ، الذى لا يتحرك بغيرها ، فيتبع هذا ان حركة النفس اختيارية ذاتية ، وهذه الحركة الذاتية تستمر بعد دفن الجسد فى التراب • اذن فان كانت النفس يحركها الجسد لترتب على هذا أن انفصال محركها عنها ينشىء موتها • ولكن ان كانت النفس تحرك الجسد أيضا لترتب على هذا أنها تحرك نفسها بالأحرى • وان كانت تحرك نفسها ترتب على هذا أنها تحيا بعد الجسد •

٣ ـ لأن حركة النفس هى بعينها حياتها ، كما نقول تماما بطبيعة الحال ان الجسد حى ان كان يتحرك ، وانه مات ان بطلت حركته • ولكن هذا يمكن تبيانه بأكثر وضوح ـ بصفة قاطعة ـ من فعل النفس فى الجسد • لأنها حتى ان

كانت وهى متحدة بالجسد ومجتمعة به ليست محبوسة أو محدودة بحدود الجسد الضيقة ، بل حينما يكون الجسد مضطجعا فى الفراش عديم الحركة مستغرقا فى نوم يشبه الموت ، كثيرا ما ظلت النفس مستيقظة بفضل قوتها ، وفاقت قوة الجسد الطبيعية ، وراحت تتخيل وتنظر أشياء أسمى من الأرض كأنها تتجول خارج الجسد مع أنها باقية فيه ، وكثيرا ما اتصلت بالقديسين والملائكة الذين هم أسمى من دائرة الوجود الأرضى والجسدى • واقتربت منهم بفضل طهارة قوتها العقلية ، ألا يحصل بالأولى • حينما تنفصل عن الجسد فى الوقت المحدد من الله الذى جمعهما معا أن تزداد معرفتها عن الخلود بأكثر ايضاح ؟ لأنها ان كانت وهى مجتمعة بالجسد كانت تحيا حياة خارج الجسد ، فبالاولى تستمر حياتها بعد موت الجسد ، وتحيا بلا انقضاء بفضل الله الذى خلقها هكذا بكلمته ربنا يسوع المسيح •

٤ ـ لأن السبب فى أن النفس تفكر وتذكر ما يتعلق بالخلود والأبدية هو انها هى نفسها خالدة • وكما أن الجسد ان كان فانيا فان حواسه أيضا تتصل بما هو فان ، كذلك طالما كانت النفس تنظر وتتأمل فيما هو خالد فيترتب على هذا أنها خالدة وتحيا للابد • لان الآراء والأفكار عن الخلود لا تفارق النفس أبدا ، بل تلازمها وتلبث فيها كأنها الوقود لها ،

مما يؤكد خلودها • اذن فهذا هو السبب فى أن للنفس قدرة على رؤية الله ، وهذا هو طريقها اليه ، مستمدة معرفتها وادراكها عن كلمة الله لا من الخارج بل من ذاتها •

الفصل الرابع والثلاثون

اذن فان تخلصت النفس من أدران الخطية استطاعت أن تعرف الله مباشرة ، اذ تصور لها طبيعتها العاقلة كلمة الله الذى خلقت على صورته • ولكن حتى اذا لم نستطع اختراق السحب التى بسطتها الخطية على بصيرتها فانها تواجه بشهادة الخليقة عن الله •

١ ـ اذن فاننا نكرر ما سبق أن ذكرناه وهو انه كما أنكر البشر الله وصاروا يعبدون أشياء لا نفس لها ، هكذا أيضا بتوهمهم انهم ليست لهم نفس عاقلة ينالون حالا قصاص غباوتهم أى انهم يحسبون فى عداد المخلوقات غير العاقلة • لذلك فانهم يستحقون الشفقة والارشاد طالما كانوا بخزعبلاتهم يعبدون آلهة عديمة النفس كأنهم عديمى النفس •

٢ ـ أما ان اعترفوا بأن لهم نفسا ، وافتخروا بحق بالنفس العاقلة ، فلماذا يتجاسرون على تجاوز حدود العقل ، كأن لا نفس لهم ، ولا يفكرون كما ينبغى ، ويتوهمون فى

أنفسهم بانهم أعلى حتى من اللاهوت ؟ لانهم وهم لهم نفس خالدة وغير منظورة يجعلون لأنفسهم صورة لله من الاشياء المنظورة الفانية • ولماذا لا يحملون أنفسهم ويرجعون الى الله ثانية كما ابتعدوا عنه ؟ لأنهم يستطيعون أن يسموا بقوة ادراك نفوسهم ويرجعوا ثانية الى الله كما حولوا ذهنهم عن الله وتوهموا لأنفسهم آلهة من العدم •

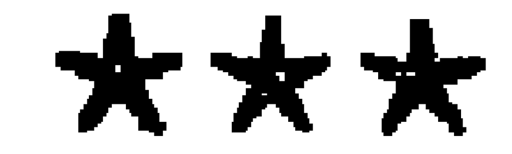
٣ ـ على انهم يستطيعون الرجوع ، اذا خلعوا ثوب دنس كل الشهوات الذى ارتدوه ، وانتزعوه بمثابرة ، الى ان يتخلصوا من كل المواد الغريبة التى أثرت فى نفوسهم ، ويستطيعوا ان يظهروا نفوسهم فى بساطتها كما خلقت ، وبهذا يستطيعون ان يروا بها كلمة الآب الذى خلقوا على صورته • لأن النفس خلقت على صورة الله ومثاله ، كما تبين الكتب الالهية حين تقول على لسان الله (١) « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » • لذلك أيضا فانها حينما تتخلص من كل ادران الخطية التى تغطيها وتستبقى فقط شبه الصورة فى طهارتها فانه اذ تستنير هذه الصورة استنارة كاملة ترى النفس يقينا ـ كما فى مرآة ـ صورة الاب ، أى الكلمة ،

---

(١) تك ١ : ٢٦ •

وبــه تصل الى فكرة الآب ، الذى نعـلم ان صـــورته هى المخـلص •

٤ ـ اما اذا كانت تعاليم النفس غير كافية بسبب الأشياء الخارجية التى تطمس عقلها ، وتعوقها عن رؤيــة ما هو اعلى ، فانها على ذلك تستطيع معرفة الله من الأشياء المنظـورة ، طالما كانت الخليقة تعلن بصوت عال ـ كما فى حروف مكتوبة ـ ربها وخالقها ، وذلك بنظامها وتناسقها •



الباب الثالث

الفصل الخامس والثلاثون

الخليقة اعلان عن الله سيما فى النظام والتناسق اللذين يسودان الكل .

١ ـ ولان الله صالح ومحب للبشر ، ويعنى بالنفوس التى خلقها ، ولانه بالطبيعة غير منظور وغير مدرك ، اذ أن شخصه فوق كل الكائنات المخلوقة (١) ، الأمر الذى لأجله كان الجنس البشرى عرضة ليضلوا عن طريق معرفته ، لانهم خلقوا من العدم ، أما هو فانه غير مخلوق . لهذا السبب أعطى الله الكون ـ « بكلمته » ـ نظامه الحالى ، ليتمكن البشر من معرفته على أى حال باعماله طالما كان هو بالطبيعة غير منظور . فكثيرا ما عرف الصانع بصنعته حتى ولو كان غير منظور .

٢ ـ وكما يقولون عن فيدياس (٢) النحات ان صناعته

---

(١) انظر ف ٤٠ : ٢ .

(٢) Phidias مهندس ونحات اثينى (٥٠٠ ـ ٤٣٢ ق . م .) .

الفنّية تنبىء عنه فى الحال لكل من يراها حتى ولو لم يكن موجودا ، وذلك بسبب دقتها التامة وتناسق أجزائها ، هكذا اذا ما تأمل المرء فى نظام الكون وجب أن يدرك الله صانعه وبارئه حتى وان كان لا يرى بالاعين الجسدية • لأن الله لم يكتف بطبيعته غير المنظورة (ولا يتخذن أحد ذلك حجة) ولم يترك نفسه غير معروف للبشر كلية ، بل كما قلت سابقا رتب الخليقة ونظمها حتى يعرف باعماله وان كان غير منظور بالطبيعة •

٣ ـ ولا أقول من تلقاء ذاتى بل بقوة ما تعلمته من البشر الذين تكلموا بلسان الله ، ومنهم بولس الذى كتب لأهل رومية قائلا (١) « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات » • ولأهل ليكاؤنية صرخ قائلا (٢) « نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الاباطيل الى الاله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها • الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم • مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد • وهو فعل خيرا وأعطاكم من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة مالئا قلوبكم طعاما وسرورا » •

---

(١) رو ١ : ٢٠ • (٢) اع ١٤ : ١٥ ـ ١٧ •

٤ ـ لأنه من ذا الذى يرى دائرة السماء ، ومجرى الشمس والقمر ، وأوضاع وحركات سائر النجوم ، اذ تتخـذ أمكنتها فى اتجاهات مضادة ومختلفة ، ومع ذلك فانها فى اختلافاتها تحفظ نظاما ثابتا بالاجماع ، من ذا الذى يرى هذا وينكر هذه النتيجة انها لم تنتظم من تلقاء ذواتها ، بل لها خالق يتميز عنها ويحفظ لها نظامها ؟ أو من ذا الذى يرى الشمس تشرق نهارا والقمر يضىء ليلا متناقصا ومتزايدا بلا اختلاف ، وفق نفس عدد الايام ، وبعض النجوم تسير فى أفلاكها المختلفـة والمتعددة ، وبعضها تتحرك ، ولكن دون أن تكون على غـير هدى ، وبعـد ذلك يعجز عن أن يدرك أن لها يقينا خالقـا يرشـدها ؟ •

الفصل السادس والثلاثون

والاغرب من كل هـذا اذا ما تاملنا فى القوى المضـادة بعضها لبعض ، والتى عنها ينتج هذا النظام الحالى •

١ ـ ومن ذا الذى يرى الأشياء المتنـافرة فى طبيعتهـا متحدة ، ومتناسقة ، كالنار مختلطة بالبرودة مثلا ، والجفاف مختلطا بالرطوبة ، دون أن تتنازع معـا ، بل تكون جسـما واحدا كأنها متجانسة الأجزاء • من ذا الذى يرى هذا دون أن

يستنتج أن هنالك شخصية خارجة عن هذه الأشياء ، وهى التى اتحدتها معا ؟ من ذا الذى يرى الشتاء يفسح المجال للربيع ، والربيع للصيف ، والصيف للخريف ، وهذه تختلف بطبيعتها ، لأن الواحد يسبب القشعريرة والآخر يحرق ، الواحد ينعش والآخر يتلف ، ومع ذلك فالكل تتوازن وتنتج خيرا للبشرية من ذا الذى يرى هذا دون أن يدرك أن هنالك من هو أسمى منها ، يوازنها ويهديها كلها ، حتى وان كان لا يراه ؟

٢ ـ من ذا الذى يرى السحب محمولة على الهواء ، وثقل الماء متكتلا فى السحب دون أن يدرك ذلك الذى جمعها الى فوق ، ورتب هذه الاشياء على هذه الحال ؟ أو من ذا الذى يرى الأرض وهى اثقل من كل شىء بالطبيعة ، مثبتة على المياه ولا زالت ثابتة فوق ما هو متقلقل بطبيعته ، دون أن يدرك أن هنالك من خلقها ورتبها على هذه الحال ، أى الله ؟ من ذا الذى يرى الارض تعطى أثمارا فى الاوقات المناسبة ، والامطار تهطل من السماء ، وفيضان الأنهار ، وتفجر الينابيع ، وتوالد الحيوانات من آباء غير متشابهة ، وهذه الاشياء تحدث لا فى كل الاوقات ، بل فى فصول معينة ، وبصفة عامة بين أشياء متنافرة ومضادة بعضها للبعض ولكنها تتوازن وتتوافق معا ـ من ذا الذى يرى هذا ويستطيع مقاومة هذا الاستنتاج

أن هنالك « قوة » تنظمها وتديرها ، وترتب الاشياء حسنا حسبما تراه مناسبا ؟

٣ ـ لانها لو تركت لنفسها لما امكنها البقاء ، بل حتى لما امكنها الظهور بسبب مخالفتها بعضها لبعض بالطبيعة • فالماء بطبيعته ثقيل ، ويميل للانسكاب الى أسفل ، بينما السحب خفيفة وتدخل فى دائرة الاشياء التى تميل أن تحلق وتصعد الى فوق • ومع ذلك فاننا نرى الماء ـ وهو ثقيل يحمل فى السحب الى فوق • كذلك أيضا الأرض ثقيلة جدا ، بينما المياه خفيفة نسبيا ، ومع ذلك فالأثقل محمول على الأخف ، والأرض لا تغرق بل هى باقية لا تتزعزع • والذكر والانثى ليس واحدا ، ومع ذلك فانهم يتحدان معا ، والنتيجة هى تناسل الحيوان الذى يخرج من كليهما مشابها لهما • وبالايجاز ان البرودة مضادة للحرارة ، والرطوبة تحارب الجفاف ، ومع ذلك فانها تجتمع معا دون أى نزاع ، بل تتفق ، وتنتج جسما واحدا ، ويتولد منها كل شىء •

الفصل السابع والثلاثون

تكملة نفس الموضوع •

١ ـ اذن فالأشياء المتنافرة بطبيعتها ، والمضادة بعضها للبعض ، لا يمكن أن تصطلح معا لو لم يكن هنالك من هو أسمى منها وسيدها ليتحدها ، الذى تخضع له العناصر طائعة كما يطيع العبيد السيد • وبدلا من ان يراعى كل شىء طبيعته ويتنازع مع جاره ، فانها كلها تدرك الرب الذى اتحدها ، وتتناسق بعضها مع بعض ، مع أنها مضادة لبعض بالطبيعة ، وتتوافق حسب ارادة ذاك الذى يرشدها •

٢ ـ لأنه لو لم يكن امتزاجها معا يعزى لسلطة أعلى فكيف كان ممكنا للثقيل أن يمتزج ويتحد مع الخفيف ، والرطب مع الجاف ، والمستدير مع المستقيم ، والنار مع البرودة ، أو البحر مع الأرض ، أو الشمس مع القمر ، أو النجوم مع السماء ، والهواء مع السحب ، مع أن طبيعة الواحد تختلف عن طبيعة الآخر ؟ لأنه كان لابد من حصول نزاع شديد بينها فالواحد يحرق والآخر يشع برودة ، والثقيل ينحدر الى أسفل والخفيف يتجه اتجاها مضادا الى أعلى ، والشمس تنير بينما يذيع الهواء ظلمة ، بل النجوم نفسها تتنازع بعضها

مع بعض طالما كان البعض وضعه أعلى والبعض وضعه أسفل ، ولرفض الليل أن يفسح المجال للنهار ، بل أصر أن يظل مجاهدا ضده ومقاوما اياه ٠

٣ ـ على انه ان كان الحال هكذا لما رأينا الكون منتظما بل مشوشا ، ولما رأينا تناسقا بل اضطرابا وفوضى ، ولما رأينا دقة واحكاما بل لرأينا كل شيء مختلا ، ولما رأينا تناسبا بل كل الأشياء متفاوته ٠ لأنه فى النزاع العام ، والصراع المشترك ، اما أن تبيد كل الأشياء أو يظهر مبدأ السيادة وحده ٠ وحتى هذا المبدأ الأخير فانه تظهر الفوضى بين الجميع ، لأنه لو ترك أى شيء وحده وحرم من معاونة سائر الأشياء لسبب الاضطراب بين الجميع ٠ كما انه لو تركت اليد والرجل وحدهما فان ذلك لا يحفظ للجسم كماله ٠

٤ ـ لأنه كيف يصير حال الكون لو أن الشمس وحدها هى التى تظهر ، أو لو أن القمر وحده هو الذى يسير فى مجراه ، أو لو لم يكن سوى الليل ، أو لو كان للنهار صفة الدوام ؟ أو هل يبقى أيضا هنالك أى تناسق لو أن السماء وجدت بدون النجوم ، أو وجدت النجوم بدون السماء ؟ أو ما المنفعة لو كان هنالك بحر فقط ، أو لو وجدت الأرض وحدها بدون مياه ، وبدون أجزاء الخليقة الأخرى ؟ أو كيف

كان ممكنا للانسان ، أو أى حيوان أن يظهر على الأرض لو صارت العناصر فى نزاع متبادل ، أو صارت السيادة والغلبة لعنصر واحد ، ولم يكن هذا العنصر الواحد غير كاف لتركيب الأجساد ؟ لأنه لا يمكن لأى شىء فى العالم أن يتكون من الحرارة وحدها أو البرودة ، أو الرطوبة ، أو الجفاف ، والا صارت كل الاشياء بدون نظام أو امتزاج • وحتى العنصر الذى تبدو له السيادة لا يمكن أن يوجد دون معاونة بقية العناصر ، لأن هذه هى الطريقة التى بها يوجد كل عنصر الآن •

الفصل الثامن والثلاثون

تتضح وحدة الله من تناسق نظام الطبيعة •

١ ـ اذن فان كان يوجد هنالك فى كل مكان نظام لا اضطراب ، وتناسب لا تباين ، وترتيب لا تشويش • وكل شىء فى نظام متناسق ، وجب علينا حتما ، بل دفعنا دفعا ان ندرك السيد الذى جمع كل الاشياء معا ، وأحكمها ، وأوجد فيها تناسقا • لانه وان كان لا يرى بالعين الا انه يمكن من رؤية نظام وتناسق الاشياء المضادة ان ندرك ضابطها ومرتبها وملكها •

٢ ـ لانه كما اننا ان رأينا مدينة تحوى شعبا كثيراً ومختلفا ، عظماء وحقيرين ، أغنياء وفقراء ، كبارا وصغارا ، ذكورا واناثا فى حالة منظمة ، ووجدنا أن سكانها وان كانوا يختلفون بعضهم عن بعض الا انهم متحدون فيما بينهم ، فالغنى لا يقـــوم على الفقير ، ولا العظيم على الحقير ، ولا الشباب ضد الشيوخ ، بل يعيش الجميع فى سلام متمتعين بحقوق متساوية ـ اذا رأينا هذا فلابد من الاستنتاج أن هنالك حاكما ، وأن وجوده هو الذى يسبب هذا النظام حتى وان كنا لا نراه ، (لأن سوء النظـام علامة على عدم وجود حكم ، بينما يبين النظام أن هنالك سلطة حاكمة • فاننا حينمـا نرى التناسق المتبادل فى أعضاء الجسد ، فالعين لا تتنازع مع السمع ، ولا اليد تتشاحن مع القدم ، بل كل عضو يـؤدى وظيفته دون أى نزاع ، فاننا ندرك من هذا أن هنالك يقينا نفسا فى الجسد تضبط هذه الأعضاء وان كنا لا نراها) • كذلك الحال أيضا عندما نرى نظام وتناسق الكون يجب أن ندرك الله ضابطه كله ، وانه واحـد غير متعدد •

٣ ـ اذن فهذا النظـام فى ترتيبـه ، وهـذا التناسق والتوافق فى كل الأشـياء ـ هـذه تبين أن الكلمة ، ضابطه ومدبره غير متعدد بل واحد • لأنه لو كان هنالك أكثر مـن ضـــابط واحـد للخليقـة لما اســـتمر هذا النظـام الجامع

الشامل ، بل لوقعت كل الأشياء فى فوضى نظرا لتعددها (١) ، فكل منها يحاول أن يدفع كل الأشياء حسب ارادته محاربا الآخر • وكما قلنا ان تعدد الآلهة معناه الكفر والالحاد وعدم الاعتقاد بأى اله • هكذا يتبع أن حكم أكثر من واحد معناه عدم حكم أحد على الاطلاق • لأن كل واحد يريد أن ينقض حكم الآخر ، فلا يظهر أى واحد حاكما ، بل تحل الفوضى فى كل مكان • وحيث لا يوجد حاكم وجدت الفوضى وسوء النظام بطبيعة الحال •

٤ ـ وبالعكس ان النظام الواحد والتناسق بين الأشياء المتعددة والمختلفة يبينان أن الحاكم أيضا واحد • فكما اذا سمع المرء عن بعد قيثارة مكونة من أوتار متعددة مختلفة وأعجب بتوافق نغماتها ، أى أن صوتها لا يتكون فقط من نغمات منخفضة ولا من نغمات عالية أو متوسطة فقط ، بل تعطى كل الاوتار أصواتها متوازنة معا ، لا يتسرب الى ذهنه قط أن القيثارة تلعب من تلقاء نفسها ، أو أن أشخاصا كثيرين يضربون عليها ، بل يثق تماما أن هنالك موسيقيا واحدا (حتى وان كان لا يراه) استطاع بمهارته ان يوجد توافقا بين كل الاوتار لتعطى نغمة شجية ـ هكذا أيضا اذا كان نظام

---

(١) تعدد الالهة •

كل الكون فى توافق كامل ، دون ان يكون هنالك نزاع أو ثورة من الأعلى ضد الأسفل ، أو من الأسفل ضد الأعلى ، وكل الأشياء تتحد معا فى نظام واحد ، فمن اللائق أن نعتقد بأن ضابط وملك كل الخليقة واحد لا كثيرين ، وهو الذى بنوره يضىء ويحرك الكل .

الفصل التاسع والثلاثون

استحالة تعدد الآلهة .

١ ـ لاننا يجب أن لا نتوهم أن هنالك أكثر من ضابط وخالق واحد للخليقة ، فالديانة السليمة الحقيقية تعتقد أن بارئها واحد ، والخليقة نفسها تشير الى هذا بوضوح . لأنه ان كان لا يوجد سوى كون واحد لا أكثر ، فان هذا برهان قاطع على أن خالقه واحد . فان كان هنالك تعدد للآلهة وجب أن يكون أيضا هنالك حتما أكثر من واحد . لأنه لا يعقل أن آلهة كثيرين يصنعون كونا واحدا ، أو أن الكون الواحد يخلقه أكثر من واحد ، بسبب ما يتبع هذا من سخافات .

٢ ـ فاولا ان كان الكون الواحد خلقه آلهة كثيرون كان هذا معناه الضعف من جانب الذين خلقوه ، لأن الكثيرين

اشتركوا فى نتيجة واحدة ، وكان هذا برهانا قويا على النقص فى المقدرة على الخلق فى كل منهم • لانه ان كان واحد كافيا لما كانت هنالك حاجة للكثيرين لكى يكمل كل واحد نقص الآخر • أما القول بأن هنالك أى نقص فى الله فان هذا ليس معناه الحادا فحسب بل هو فوق كل شىء وقاحة • لانه حتى بين البشر لا يمكن أن يدعى أى صانع الكمال ان كان يعجز عن اتمام عمله ، قطعة واحدة من العمل ، بمفرده بدون مساعدة الكثيرين غيره •

٣ ـ أما ان كان كل واحد يستطيع اتمام العمل بأكمله ، غير أن الجميع عملوا فيه لكى يساهموا فى النتيجة ، فان الاستنتاج المضحك الذى نخرج به أخيرا هو أن كل واحد عمل لينال شهرة لئلا يشك فى مقدرته • ومرة أخرى نقول انه من أشد السخافات أن ينسب للالهة حب الظهور •

٤ ـ وأيضا ان كان كل واحد كافيا لخلقة الكل فما الداعى لاكثر من واحد ، طالما كان فى الواحد كل الكفاية للكون ؟ وعلاوة على هذا فمن الوقاحة والسخافة أن يجعل الشىء المخلوق واحدا بينما الخالقون كثيرون ومتعددون ، فالقاعدة العلمية هي ان ما كان واحدا وكاملا هو أسمي من الاشياء المتعددة •

٥ ـ وهذا ما يجب أن تعرفه أنه ان كان الكون قد خلق بآلهة متعددة لصارت حركاته عديدة ومخالفة بعضها للبعض • لانه اذا التفت الى كل واحد من خالقيه فان حركاته لابد أن تكون مختلفة بالتبعية • وهذه الاختلافات أيضا ـ كما قدمنا ـ تتضمن الاضطراب وعدم النظام • لانه حتى السفينة لا يمكن أن تسير مستقيمة ان كان يقودها كثيرون ، وما لم يمسك الدفة ربان واحد • والقيثارة لن تعطى نغمات متوافقة ان كان يضرب عليها الكثيرون ، ما لم يضرب عليها فنان واحد •

٦ ـ اذن فطالما كانت الخليقة واحدة ، والكون واحدا ، ونظامه واحدا ، وجب أن ندرك أن ملكها ومبدعها واحد أيضا • لان هذا هو السبب فى أن البارىء نفسه صنع كل الكون واحدا ، لئلا يتوهم تعدد البارئين ان وجد أكثر من كون واحد • أما ان كان ما عمل واحدا فانه يعتقد أن صانعه أيضا واحد • ويجب أن لا يستنتج من وحدة البارىء أن الكون يجب أن يكون واحدا ، فالله كان قادرا أن يخلق أكوانا أخرى فى نفس الوقت • ولكن لان الكون الذى خلق واحد وجب الاعتقاد أن بارئه أيضا واحد •

الفصل الاربعـون

ان معقولية الكون ونظامه يبرهنان على أنه من صـنع العقل ، أو كلمة الله ٠

١ ـ اذن من يكون هذا البارىء ؟ لأن هذه نقطـة يجب توضيحها لئلا يتوهم الانسان بارئا آخر بسبب جهلة البـارىء الحق ، فيتردى مرة أخـرى فى ضلالة الالحاد القديمة ٠ على اننى أعتقد أنه لا يوجد من يتسرب اليه الشك فى هذه الحقيقة ٠ لانه ان كانت أدلتنا قد برهنت أن آلهة الشعراء ليست آلهة ، واثبتت خطأ من يؤلهون الخليقة ، وبينت بصـفة عـامة أن العبادة الوثنية كفر والحاد وفساد ، نتـج عن هذا حتما من استبعاد هذه الآلهة أن الديانة الحقيقية بجانبنا ، وأن الالـه الذى نعبده ونكرز به هو الآله الحق الواحد ، الـذى هو رب الخليقة وبارىء كل الوجود ٠

٢ ـ ومن يكون هذا سوى أب المسيح السامى فى القداسة والمتعالى فوق كل الموجودات المخلوقة ، الذى ـ كربان مـاهر ـ يدير دفة كل الأشياء بحكمته وكلمته ربنـا ومخلصنا المسيح ، ويحفظها وينظمها ، ويفعـل كل ما يراه صالحا ؟ على أن مـا

عمل ، وما نراه حادثا هو الأصلح ، طالما كان هو ما يريده ، وهذا يعسر على الانسان أن يرفض الاعتقاد به ٠

٣ - لانه لو كانت حركة الخليقة غير معقولة ، ولو كان الكون يسير بلا خطة ، لحق للانسان أن لا يصدق ما نقول ٠ أما ان كان قائما بالدقة والحكمة والمهارة ، وان كان منتظما كل الانتظام فى كل نواحيه ، نتج عن هذا أن ذاك الذى هو أعلى منه ونظمه ليس الا (عقل أو) كلمة الله ٠

٤ - ولا أقصد بالكلمة تلك القوة الغريزية المودعة فى كل الأشياء المخلوقة التى اعتاد البعض أن يسموها المبدأ الخلقى ، (١) والعديمة النفس التى ليست لها قوة المعقولية أو التفكير ، بل تعمل من الظاهر حسب فطنة من يستخدمها ، ولا أقصد كلمة الكائنات العاقلة والمكونة من مقاطع وتتلون حسب قوة تعبيرها ، بل أقصد « الكلمة » الحى القوى ، كلمة الله الصالح ، اله الكون ، نفس « الكلمة » الذى هو الله (٢) ، الذى وهو يختلف عن كل الأشياء التى

---

(١) القدرة على خلق النوع ٠

(٢) يو ١ : ١ ٠

خلقت ، وعن كل الخليقة ، فهو « الكلمة » الواحد للآب الصالح ، الذى بعنايته نظم هذا الكون وينيره ·

٥ - واذ هو « الكلمة » الصالح للآب الصالح فقد أبدع نظام كل الأشياء ، متحدا الشيء الواحد مع سائر الأشياء التى تخالفه ، ومخضعا اياها لنظام واحد متناسق · واذ هو قوة الله وحكمة الله فانه يجعل السماء تدور ، وعلق الأرض وثبتها بمجرد اشارة منه (١) ، رغم أنها لا ترتكز على شيء · والشمس اذ تستضيء به تنير العالم ، والقمر له مدته المحدودة للاضاءة · واليه (٢) يعزى تعلق الماء فى السحب ، وهطول الأمطار على الأرض ، وحفظ البحار فى حدودها ، والأرض تحمل العشب وتكتسى بكل أنواع النباتات ·

٦ - وان شك أى انسان فيما نقول وتساءل ان كان يوجد هنالك كلمة الله على الاطلاق (٣) فان انسانا كهذا لابد أن يكون معتوها اذ يشك فى كلمة الله · ومع ذلك فمن الممكن

---

(١) أو « بارادته » أو « بأمره » كما قد يفهم من الأصل اليونانى ·

(٢) الى كلمة الله ·

(٣) انظر « تجسد الكلمة » ٤١ : ٣ ·

توضيح الأمر مما يرى ، لأن كل الأشياء كائنة بكلمة اللـه وحكمته ، كما أنه لا يمكن لأى شىء مخلوق أن يكون له وجود ثابت لـو لم يـكن قـد خلقـه العقـل ، وهذا العقل هو كلمة الله كما قلنـا •

الفصل الحادى والاربعون

وجود (الكلمة) فى الطبيعة ضرورى ليس فقط لخلقتها أصلا ، بل أيضا لدوامها •

١ ـ على أنه وان كان هو « الكلمة » فانه ليس ـ كما قلنا ـ كالكلمات البشرية مكونا من مقاطع ، بل هو صورة أبيه غير المتغيرة • ولأن البشر مكونون من أجزاء ، ومخلوقون من العدم ، فـان أحـاديثهم مزيج من أشياء مختلفة وقابلـة للتجزئة • أما الله فله وجود حقيقى ، وليس مزيجا من أشياء مختلفة ، ولذلك فان كلمته أيضا له وجود حقيقى وليس مزيجا ، بل هو الله الواحد الوحيد (١) ، خرج بصلاحه من الآب كما من ينبـوع صالح ، وهو يضبط كل الأشياء ويدبرها •

---

(١) يو ١ : ١٨ •

٢ ـ اما السبب الذى لاجله أتحد الكلمة ، كلمة الله ، نفسه (١) بالمخلوقات فهو عجيب حقا ، ويعلمنا أن النظام الحالى للأشياء لائق كل اللياقة • لأن طبيعة المخلوقات ـ وقد برزت الى الوجود من العدم ـ زائلة وضعيفة وفانية ، ان كانت مكونة من نفسها فقط • على ان اله الكل صالح وسام فى النبل بالطبيعة ، ولذلك فهو رحوم • لان الشخص الصالح لا يمكن ان يحسد أحدا (٢) ، ولهذا السبب فانه لا يمكن أن يحسد أحدا حتى على الوجود ، بل يتمنى أن يوجد الجميع ليظهر فيهم رأفته وحنانه •

٣ ـ اذن فانه اذ رأى أن كل الطبيعة التى خلقت زائلة وعرضه للانحلال ، وفق نواميسها ، ولكى لا تنتهى الى هذا المصير ، ولكى لا يتحطم الكون مرة أخرى ويعود الى العدم ، لهذا خلق كل الأشياء بكلمته الازلى ، وأعطى الخليقة وجودا كيانيا ، وعلاوة على ذلك لم يتركه يطوح به فى عاصفة فى اتجاه طبيعته ، لئلا يتلاشى من الوجود مرة أخرى (٣) • ولكنه نظرا لصلاحه يرشد كل الخليقة ويركزها بكلمته الذى هو نفسه

---

(١) انظر « تجسد الكلمة » ٤٣ : ٤ الخ •

(٢) انظر « تجسد الكلمة » ٣ : ٣ •

(٣) انظر « تجسد الكلمة » ٤٣ : ٧ (الحاشية) •

الله أيضا ، لكى يكون للخليقة نور بتدبير ورعـاية وتنظيم « الكلمة » ، ولكى تتمكن من ان تستقر آمنة دوامـا • لانهـا تشترك مع « الكلمة » الذى يستمد الوجود الحقيقى من الآب ، وتستمد منه المعونة للوجود ، لئـلا يصيبها ما كان ممكنا ان يحل بها لولا بقاؤها بواسطة « الكلمة » ، أى لئلا يصـيبها الانحلال ، لأنه « هو صورة الله غير المنظورة بكر كل خليقة • فانه به وفيه كل الأشياء كائنة ، ما يرى وما لا يرى ، وهـو رأس الكنيسة » كما يعلم خدام الحق فى كتاباتهم المقدسة (١) •

الفصل الثانى والاربعون

وصف عمل الكلمة هذا بتوسع •

اذن فان كلمة الآب القدوس ، الكلى القـدرة ، والكلى الكمال ، اذ اتحـد بالكون وكشف عن قواته فى كل مكان ، وأنار الكل ، ما يرى وما لا يرى ، وهو يمسكها كلها ويربطهـا بنفسـه ، دون أن يترك شـيئا خاليا من قوته ، بـل بالعكس يحيى كل شىء ، ويعضد كل شىء فى كل مكان ، كل شىء عـلى انفراد ، وكل الأشياء مجتمعة ، ويجمع الى واحد مبادىء كل

---

(١) كو ١ : ١٥ — ١٨ •

الكائنات المحسوسة ، أى الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف ، ولا يسمح لها بأن ينازع بعضها بعضا ، بل تتفق كلها فى تناسق واحد ٠

٢ - وبفضله وبفضل قوته لا تتنازع النار مع البرودة ، ولا الرطوبة مع الجفاف ، بل تمتزج معا المبادىء المتناقضة كأنها اخوة أو أصدقاء ، وتعطى حياة للأشياء التى نراها ، وتكون المبادىء التى بها توجد الاجسام ، وبطاعته - أى باطاعة الله الكلمة - فان ما على الأرض يحيا وما فى السماء ينتظم ٠ وبفضله تتحرك كل البحار والمحيطات العظمى فى حدودها المعينة ، بينما - كما قدمنا - تعطى الأرض الجافة أعشابا وتكتسى بكل أنواع النباتات ٠ ولعدم اضاعة الوقت فى تعداد التفاصيل مع وضوح الحق نقول انه لا يوجد شىء كائن يشغل حيزا الا وخلق به ، وقائم به ، كما يقول أيضا اللاهوتى (١) « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ٠ كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » ٠

٣ - وكما انه اذا ضبط موسيقى قيثارة ، وبذكائه جعل النغمات العالية متوافقة مع المنخفضة ، والنغمات المتوسطة مع

---

(١) يو ١ : ١ - ٣ ٠

قية النغمات ، وكانت نتيجة هذا اعطـاء نغمة واحدة ، هكذا
يضا اذ أمسكت حكمة الله الكون كقيثارة ، فجعلت مـا فى
لهواء متوافقا مع ما على الأرض ، وما فى السماء متوافقا مع
ما فى الهواء ، وأتحدت الجزء مع الكل ، محركا كل الأشـياء
باشارته وارادته ، كانت النتيجة الطيبة الجميلة وحدة الكون
نظامه ، أما هو فانه يلبث - غير متحرك - مع الآب ، مـع
نه يحرك كل الأشياء بتدبيره كما يبـدو صـالحا لكل شىء
مـام أبيــه •

٤ - لأن ما يدعو للدهشة فى لاهـوته هو هذا : انــه
باجراء واحد لارادته ، وبنفس الاجراء الواحد ، يحـرك كل
الاشياء فى آن واحد ، لا فى فترات معينة ، بل كل الأشـياء
مجتمعــة ، المستقيم والمنحنى ، ما هو فوق وما هو أسـفل
وما توسطهما ، الرطب والبارد والحار ، ما يرى وما لا يرى ،
وينظمها بحسب طبائعها المختلفة • لأنه بصفة مستمرة ،
وباشارة واحدة منه ، يتحرك المستقيم مستقيما ، والمنحنى
أيضا والمتوسط يسير كل فى حركته • والحار ينال حرارة ،
والجاف جفافا ، وكل الأشياء تحيا وتنتظم به حسب طبائعها
المختلفة ، ونتيجة لهذا فهو يخـرج حقا توافقا عجيبا الهيا •

الفصل الثالث والاربعون

ثلاثة تشبيهات لايضاح علاقة الكلمة بالكون ٠

١ ـ ولأمكان فهم حقيقة عظمى كهذه بأحد الأمثلة لنشبه ما نريد شرحه بجوقة مرتلين ٠ فكما ان الجوقة مكونة من أشخاص مختلفين ، أطفال وسيدات ورجال ، مسنين وأحداث ٠ واذا ما أعطى أحدهم (قائدهم) اشارة فكل منهم يخرج صوتا متفقا مع طبيعته وقوته ، الرجل كرجل ، والطفل كطفل ، والمتقدم فى السن كمسن ، والشاب كشاب ، بينما الكل يؤلفون نغمة واحدة متوافقة ٠

٢ ـ أو كما أن نفسنا تحرك فى وقت واحد حواسنا المختلفة وفق الوظيفة التامة لكل حاسة ، حتى اذا مثل أى موضوع تحركت كل الحواس معا ، فالعين ترى ، والأذن تسمع ، واليد تلمس ، وحاسة الشم تشم ، والحلق يذوق ، وكثيرا ما تحرك سائر أعضاء الجسم أيضا ، فالقدمان تسيران مثلا ٠

٣ ـ أو ـ لأيضاح قصدنا بمثل ثالث ـ كان مدينة

عظيمة جدا قد بنيت وهى تدار بوجود الحاكم والملك الـذى بناها ، لأنه حينما يكون حاضرا ، ويعطى الأوامر ، ويضع عينه على كل شيء ، فالكل يطيعون ، البعض ينشغلون فى الزراعة ، والآخرون يسرعون للمساقى لأخذ المياه ، والآخر يخرج لتدبير المؤونة · الواحد يذهب لمجلس الأعيان ، والآخر يدخل الاجتماع ، والقاضى يذهب الى المنصة ، والرئيس الى مكتبه · والصانع أيضا يجلس الى مهنته ، والنوتى ينزل الى البحر ، والنجار الى مصنعه ، والطبيب الى علاجه ، والمهندس المعمارى الى بنائه ، وبينما يذهب الواحد الى الريف يعود منه الآخر ، وبينما يسير البعض حمل المدينة يخرج منها الآخرون ويعودون اليها · على أن كل هذا يسير ويدبر بحضور الحاكم الواحد وبتدبيره ·

٤ ـ هكذا أيضا يجب أن تكون فكرتنا عن كل الخليقة ـ وان كان المثل غير واف بالغرض ـ ولكن بفكرة أوسع · لأنه بايماءة واحدة ، كما من كلمة الله ، تنتظم كل الأشياء فى وقت واحد ، وكل « يؤدى وظيفته المناسبة ، وكلها تؤول معا الى نظام واحد » ·

الفصل الرابع والاربعون

تطبيق التشبيهات على كل الكون ، ما يرى وما لا يرى .

١ ـ لأنه بايماء وبقوة كلمة الآب الالهى الـذى يدبر ويتراءس على الكل ، تدور السـماء وتتحـرك الكواكب ، والشمس تضيء ، والقمر يسير فى دائرتـه ، والهواء يتلقى نور الشمس ، والاثير حرارتها . والرياح تهب ، والجبـال ترتفع شامخة ، والبحر يضطرب بالامواج ، والكائنـات الحيـة فيه تنمو ، والأرض تلبث ثابتة ، وتثمر ، والانسان يتكون ويحيا ويموت ثانية ، وكل الأشـياء ـ مهما كانت ـ تحيا وتتحرك ، والنـار تحرق ، والماء يبرد ، والينابيع تنبـع ، والأنهار تفيض ، والفصـول والساعات تتـوالى ، والأمطـار تهطل ، والسحب تمتلىء ، والبرد يتكون ، والثلج والجليد يجمدان ، والطيور تطير ، والزحافات تسير ، وحيوانات الميـاه تعوم ، والبحر يعبر ، والأرض تزرع وتعطى محصولات فى أوقاتها ، والنباتات تنمو . بعضها صغير ، والبعض ينضج ، والبعض الآخر يشيخ فى نموه ويتلف . واذ تختفى بعض الأشياء يتوالد البعض الآخر ويظهر الى النور .

٢ ـ على ان كل هذه الأشياء ، وأكثر منهـا مما لا يمكن ذكـره لكثرتها ، اذ يعطيهـا كلمـة الله ـ صـانع العجائب والمعجزات ـ نورا وحياة ، يحركها ويرتبها بايماءة منـه ، جاعلا الكون واحدا • كما انه لا يتغافل حتى عن القوات غير المنظورة • لأنه اذ يعتبر هذه أيضا فى الكون ، على أساس انه هو خالقها أيضـا ، فانه يضبطها معا ، ويحييها بايماءة منه وبتدبر عنايته • ولا يمكن أن يلتمس أى عـذر لعدم الايمـان بهـذا •

٣ ـ وكما انه بعنايته تنمو الاجساد ، والنفس العـاقلة تتحرك ، وتنال الحياة وقوة التفكير ، وهكذا لايحتاج الا لبرهان وجيز لأننا نرى ما هو حادث ، هذا أيضا نفس كلمة الآب باشارة بسيطة بقوته يحرك ويضبط الكون المنظور والقوات غـير المنظورة ، معطيا لكل شيء وظيفته المناسبة ، وبذلك تتحـرك القوات الالهية فى طريق أكثر الهية ، أما الأشياء المنظـورة فانها تتحرك كما نراها • على أنه هو نفسه ، اذ هو فـوق الكل ، وهو الضابط الكل ، والملك والقوة المدبرة ، فانه يفعل كل شيء لمجـد ابيه ومعرفته ، حتى يعلمنا بنفس الاعمـال الصادرة من قبله قائلا « بعظم جمال المبروءات يبصر فاطـرها على طريق المقايسة (١) » •

---

(١) حكمة ١٣ : ٥ •

الفصل الخامس والاربعون

الخاتمة • تعليم الكتاب المقدس عما ورد فى الباب الأول •

١ ـ وكما انه بالتطلع الى السماء ورؤية نظامها ، ونور الكواكب ، يمكن استنتاج ادراك « الكلمة » الذى نظم هذه الأشياء ، هكذا برؤية « الكلمة » وجب على المرء أن يرى أيضا الله أباه ، الذى اذ خرج من قبله يمكن ان يدعى بحق ترجمان أبيه ورسوله •

٢ ـ وهذا يمكن أن يراه المرء من اختباراتنا • لأنه ان كانت الكلمة حينما تخرج من البشر نستنتج أن العقل هو باعثها ، وبتفكيرنا فى الكلمة نستطيع أن نرى بعقولنا العقل الذى تعلنه ، هكذا أيضا ـ مع الفارق فى القياس بدرجة لا تقدر ـ اذ نرى قوة « الكلمة » فاننا نحصل أيضا على معرفة أبيه الصالح ، كما يقول المخلص نفسه « الذى رآنى فقد رأى الآب (١) » • على أن هذا يعلمه كل كتاب موحى به بوضوح اكثر وسلطان أعظم ، حتى اننا بدورنا نكتب اليك بجسارة

---

(١) يو ١٤ : ٩ .

كما نفعـل ، وأنت ان رجعت اليها استطعت أن تتحقـق ممـا نقـول ٠

٣ ـ لان البرهان اذ تأيد بسلطة أعـلى صار من غير الممكن دحضـه ٠ اذن فمن البداءة علمت الكلمة الالهية الشعب اليهـودي بقوة عن ابادة الاصنام حين قالت (١) « لا تصـنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت » ٠ على أن سبب ابادتها يعلنه كاتب آخر (٢) « أصنام الأمم فضة وذهب ٠ عمل أيدى الناس ٠ لها أفواه ولا تتكلم ٠ لها أعين ولا تبصر ٠ لها آذان ولا تسمع ٠ لها مناخر ولا تشم ٠ لها أيد ولا تلمس ٠ لها أرجل ولا تمشى » ٠ كما انها لم تـدع عقيدة الخليقة تمر بسكون ، ولكنها اذ عرفت جمالها تمام المعرفة ، وخشيت من أن يعبد أى امرىء هذه الأشياء ـ اذا ما تأمل فى هذا الجمال فقط ـ كأنها آلهة ، بدلا من أن ينظـر اليها كصنعة الله فانها علمت البشر مقدما بقوة حين قالت (٣)

---

(١) خر ٢٠ : ٤ ٠

(٢) مز ١١٥ : ٤ ـ ٧ ٠

(٣) تث ٤ : ١٩ ٠

« وحين ترفع عينيك وتنظر الشمس والقمر وكل جند السماء فلا تضل وتعبدها هذه التى أعطاها الرب الهك لجميع الشعوب التى تحت السماء » • ولكنه أعطاها ، لا لكى تكون آلهتهم ، بل لكى يعرف الأمم بواسطتها - كما قلنا - الله صانعها كلها •

٤ - لان شعب اليهود قديما كانت لديهم تعاليم وافرة ، ولذلك كانت لديهم معرفة الله ليس فقط من أعمال الخليقة بل أيضا من الكتب الألهية • وعلى العموم فانه لكى يبعد البشر عن الضلال والتصورات غير المعقولة عن الأصنام نراه يقول (٢) « لا يكن لك آلهة أخرى سواى » • وليس هذا معناه أنه ينهاهم عنها كأنه توجد آلهة أخرى ، بل لئلا يتحول أى واحد عن الاله الحقيقى ، ويتخذ لنفسه آلهة من العدم ، كتلك التى تدعى آلهة فى كتابات الشعراء والكتاب ، مع أنها ليست آلهة • ونفس اللغة تدل على أنها ليست آلهة « لا يكن لك آلهة أخرى » • وهذه تشير فقط الى المستقبل • وما يشير الى المستقبل ليس له وجود وقت التكلم •

---

(١) خر ٢٠ : ٣ •

الفصل السادس والاربعون

تعليم الكتاب المقدس عما ورد فى الباب الثالث ٠

١ ـ اذن فهل مرت بسكون تلك التعـاليم الالهية التى فندت الحاد الوثنيين ، وأمرت بابادة الاوثان ، أم هل تركت الجنس البشرى ليسيروا دون امدادهم قطعـا بمعرفة الله ؟ كلا فانها سبقت عقولهم حين قالت (١) « اسمع يا اسرائيل الرب الهك اله واحد » وأيضا « تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل قوتك » وأيضا « للرب الهك تسجد ، واياه وحـده تعبد ٠ وبه تلتصق » ٠

٢ ـ أما ان عناية « الكلمة » ـ الذى هـو فوق الكل ـ وقوته المنظمة قد شهدت لهما كل الكتب الموحى بها فان هـذه الفقرة تكفى لتدعيم حجتنا حيث يقول الرجال الذين يتكلمون بلسان الله (٢) « أسست الأرض فثبتت ٠ اليوم يثبت حسب

---

(١) تث ٦ : ٤ و ٥ و ١٣ ٠

(٢) مز ١١٩ : ٩٠ و ٩١ ٠

احكامك » وأيضا (١) » رنموا لالهنا بعود • الكاسى السموات سحابا المهيىء للأرض مطرا المنبت حشيشا على الجبال وعشبا أخضر لخدمة الانسان • المعطى للبهائم طعاما » •

٣ ـ ولكن بمن يعطيها الا بمن خلقت به كل الأشياء ؟ لأن العناية المهيمنة على كل الأشياء هى بطبيعة الحال من اختصاص ذاك الذى خلقت بـه • ومن يكون هذا الا كلمة الله • الذى يقول عنه فى مزمور آخر (٢) « بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » لأنه يخبرنا أن كل الأشياء خلقت فيه وبه •

٤ ـ من أجل هذا فانه هو أيضا يقنعنا ويقول (٣) « وهو تكلم فصنعت • هو أمر فخلقت » كما يؤيد قولنا أيضا موسى العظيم ـ فى بدء وصفه للخليقة ـ بعبارته قائلا (٤) : وقال الله « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » • لأنه أيضا عندما

---

(١) مز ١٤٧ : ٧ ـ ٩ •
(٢) مز ٣٣ : ٦ •
(٣) مز ١٤٨ : ٥ •
(٤) تك ١ : ٢٦ •

كان يخلق السماء والأرض وكل الأشياء قال له الآب (١) « ليكن جلد ··· ولتجتمع المياه ··· ولتظهر اليابسة ··· لتنبت الأرض عشبا وبقلا » · لذلك يجب أيضا اتهام اليهود لسبب عدم التفاتهم للكتب المقدسة باخلاص ·

٥ ـ لأنه يمكن توجيه السؤال اليهم : لمن كان الله يتكلم مستعملا صيغة الأمر ؟ لو أنه كان وقتئذ يأمر ويخاطب الاشياء التى كان يخلقها لكان الكلام لغوا لانها لم تكن قد خلقت بعد ، بل كانت على وشك أن تخلق · على أنه لا يمكن لأحد أن يتحدث لما ليس له وجود ، أو يوجه أمرا لما لم يخلق بعد لكى يخلق · لأنه لو كان الله قد أصدر الأمر للأشياء المزمع أن تكون لكان قد قال « كونى أيتها السماء وكونى أيتها الأرض واظهر أيها العشب وكن أيها الانسان » · ولكنه فى الواقع لم يفعل هكذا ، بل أصدر الأمر هكذا « نعمل (لنعمل) الانسان » ، « لينبت العشب » ، وهذا دليل على أن الله كان يتكلم عنها لشخصية أخرى موجودة · ويتبع هذا أنه كانت هنالك شخصية أخرى معه تكلم معها عندما خلق كل الأشياء ·

---

(١) تك ١ : ٦ ـ ١١ ·

٦ ـ فمن اذا يمكن أن يكون هذا الا كلمته ؟ لأنه لن يمكن أن يقال أن الله تكلم الا لكلمته ؟ أو من كان معه عندما خلق كل الكائنات المخلوقة الا حكمته التى قالت (١) « لما خلق السماء والأرض كنت هناك أنا معه » • على أنه عند ذكر السماء والأرض فان هذا يتضمن أيضا كل مخلوقات السماء والأرض •

٧ ـ على أنه اذ كان حاضرا معه كحكمته وكلمته ، ومتطلعا الى الآب ، صور الكون ورتبه ومنحه نظاما ، ولأنه هو قوة الآب أعطى كل الأشياء قوة الوجود كما يقول المخلص(٢) « كل الاشياء التى أرى الآب يعملها هذه أيضا أعملها كذلك » وقد علم تلاميذه القديسين أن « الكل به وله قد خلق » •

٨ ـ ولأنه المولود الصالح من الآب الصالح، والابن الحقيقى ، فهو قوة الآب وحكمته وكلمته ، ليس عن طريق المشاركة (٣) ،

---

(١) ام ٨ : ٢٧ •
(٢) يو ٥ : ١٩ ، كو ١ : ١٦ •
(٣) كانت هذه هى آراء الاريوسيين وغيرهم من المبتدعين الكثيرين •

ولا كأن هذه الصفات اكتسبها من الخارج ، كما هو الحال مع من يشتركون فى طبيعته ، ويصيرون حكماء به ، وينالون منه قوة وتعقلا ، بل أنه هو نفس حكمة الآب ، ونفس كلمته ، ونفس قوته • ونفس النور • ونفس الحق • ونفس البر • ونفس الفضيلة • وهو يقينا صورته الظاهرة • وبهاؤه • وشبهه • وبالاجمال هو ثمرة الآب الفائقة الكمال • وهو وحده الابن وصورة الآب غير المتغيرة •

الفصل السابع والاربعون

ضرورة الرجوع الى الكلمة ان اردنا تجديد طبيعتنا الفاسدة •

١ ـ اذن من ذا الذى كان يستطيع أن يعلن الآب بالاحصاء (١) لكى يتبين قوات كلمته ؟ لأنه كما أنه هو كلمة الآب وحكمته هكذا أيضا اذ تنازل للمخلوقات قد صار نفس بهائه ونفس الحياة والباب والراعى والطريق ، كما صار ملكا وحاكما ومخلصا فوق الكل ، ونور الحياة وواهبها ، والمهيمن على الكل ، وذلك لكى يعرف العالم بمن ولده

---

(١) أي ليحصي قوات كلمته •

فيدركه • ولأن الآب له ابن كهذا مولود منه ، وصالح وخالق ، فانه لم يخبئه عن نظر خلائقه ، ولكنه كان يعلنه يوما فيوما بواسطة نظام وحياة كل الأشياء التى هى صنعته •

٢ ـ على أنه فيه وبه يعلن نفسه أيضا كما يقول المخلص (١) « أنا فى الآب والآب فى » ، ويتبع هذا أن « الكلمة » فى ذاك الذى ولده ، وان المولود يحيا مع الآب الى الأبد • وعلى هذا الأساس ، ولأنه لا شىء خارج عنه ، بل السماء والأرض وكل ما فيهما تعتمد عليه • الا أن البشر فى حماقتهم نبذوا معرفته وعبادته • واكرموا الاشياء التى لا وجود لها بدل الموجودة • وعوضا عن الله اليقينى الحق الهوا ما ليس له وجود • « وعبدوا المخلوق دون الخالق » (٢) وهكذا حكموا على أنفسهم بالحماقة والجهل والفساد •

٣ ـ وما مثلهم الا مثل من يعجب بالصنعة أكثر من الصانع ، أو من يدهش للاعمال العامة فى المدينة حتى يستخف بمن بنوها ، أو من يمتدح آلة موسيقية ولكنه يحتقر من صنعها ونغمها • يالها من حماقة وجهل محزن فى نظر العين

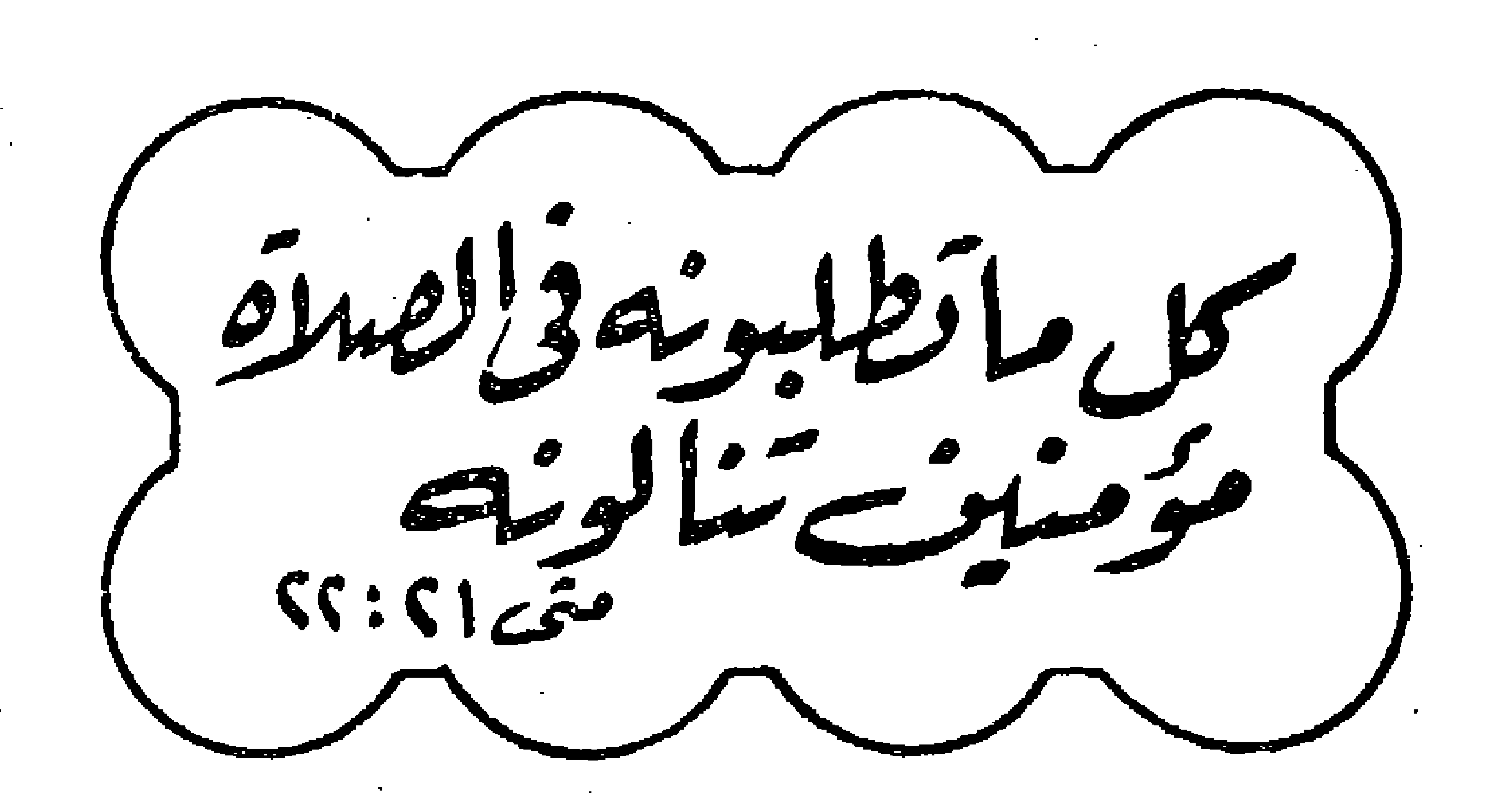
---

(١) يو ١٤ : ١٠ •

(٢) رو ١ : ٢٥ •

البشرية . لأنه كيف ممكنا لهم أن يعرفوا البنـاء أو السفينة أو القيثارة ان لم يكن صانع السفينة قد بناها ، والمهندس المعمارى شيدها ، والموسيقى صورها .

٤ ـ وكما ان من يفكر بهذه الطريقة مجنون ، بل يتخطى كل حدود الجنون ، هكذا يعتبرون مخبولين فى عقولهم ـ فى رأيى ـ كل الذين لا يدركون الله ولا يعبـدون كلمته ربنـا يسوع المسيح مخلص الكل ، الذى به ينظم الآب كل الأشـياء ويضبطها ، ويهيمن على كل الكون ، والذى اذ آمنت بـه واتقيته يا صديقى حبيب المسيح فثق وافرح وليمتلىء قلبـك رجاء حسنا ، لأن الخلود وملكوت السموات هما ثمر الايمان به ، وتقواه ، اذا ما تزينت النفس حسب نواميسه . لأنـه كما أن جزاء الذين يسلكون حسب مثاله الحياة الابدية ، هكذا جزاء الذين يسلكون الطريق المضاد لا طريق الفضيلة ـ هـو الخزى العظيم ، والهلاك بلا مغفـرة فى يوم الدينونة ، لأنهم رغم معرفتهم طريق الحق كانت أعمالهم تخالف معرفتهم .


كل ما تطلبونه في الصلاة
مؤمنين تنالونه
متى ٢١ : ٢٢

رقم الايداع بدار الكتب ٢٧٩٠ / ١٩٨١


الترقيم الدولى ٩ ـ ٢٢ ـ ٧٣٢٩ ـ ٩٧٧

القاهرة الحديثة للطباعة

أحمد بهي الدين الخربوطلي

٣ شارع الجد بالفجالة

تليفون [illegible]



مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة
ت: ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٥٧٧٧٤٤٨